

الفصل الأول

التطور التاريخي الحضاري لدلمون حتى نهاية الألف الثالث ق.م.

أولاً-المناطق التي شملها مسمى دلمون خلال العصور الباكرة:

شغلت دلمون في الأساطير السومرية البابلية الآشورية القديمة دوراً متميزاً وحظيت بمكانة دينية مقدسة بين تلك البلاد التي ورد ذكرها في الكتابات الممارية. غير أن ذكرها لم يقتصر على الناحية الأدبية الميثولوجية (أسطورية) فحب، بل إن أهميتها الرئيسة كمنت في كونها إحدى الكيانات الاقتصادية الثلاث (إضافة إلى ماجان وملوخا)، الواقعة إلى الجنوب من بلاد الرافدين التي أمدته بأهم المقومات المادية التي ساعدت على ازدهاره منذ فجر التاريخ.

وقد أخذ كثير من الباحثين على عاتقهم محاولات تعريف وتحديد موقع دلمون من خلال ما تسرده تلك الأساطير والملاحم الدينية والأدبية عنها. غير أن اعتماد البعض الآخر من هؤلاء الباحثين على النصوص الاقتصادية والوثائق الملكية السياسية قدّم نوعاً من التحليل الدقيق عبر الدراسة المتأنية المستفيضة لتلك المعطيات والإشارات التي وردت عن دلمون في تلك الوثائق المختلفة.

كان عالم المسماريات هـ . رولنسون^(١) H. Rawlinson أول من قال بأن

Rice, M.,(ed.) Dilmun Discovered. "Sir Henry Rawlinson and the Recall of Dilmun", Bahrain,(1984),p.54.

(١)

دلمون ماهي إلا جزيرة البحرين^(٢)، وذلك في معرض تعليقه على تقرير الكابتن .
 أ.ديورانـد E.Durand عن جزيرة البحرين . وقد أورد فيه الأخير اكتشافه لحجر
 البازلت الأسود المحتوي على أول النصوص المسمارية المكتشفة في أقطار الخليج
 العربي . وقد أمكن قراءة النص^(٣) على النحو التالي : (قصر ريموم Rimum خادم
 الإله أنزاك Inzak من آجاروم Agarum)^(٤) . واسم الإله أنزاك كان المدخل الذي
 قاد العالم هـ . رولنسون إلى تعريف دلمون بـ "البحرين" فقد سبق له أن تعرض
 خلال ترجمته وتفسيره لبعض الرقـم المسمارية المحفوظة في المتحف البريطاني في
 لندن ، وتطرق إلى كسرة من رقيم تتضمن أسماء ثنائية اللغة، وتشير إلى أن أنزاك
 هو الاسم الآكادي للإله "نابو" Nabu الذي عُبد في دلمون^(٥)، وهو أيضاً نفسه
 الإله أنزاك Enzak=أنشاج=Enshag الذي عين من قبل الآلهة الأم نخورساج
 Ninhursag سيداً Lord على دلمون، كما تروي أسطورة أنكي Enki
 ونخورساج^(٦) .

وفي محاولات جرت لمعرفة وتحليل أصول اسم الجزيرة التي كتبت في
 العهد السومري الآكادي تحت لفظة ني-تُك Ni-Tuk، ثم أصبحت تعرف في

(٢) يذكر د. بوتس D.Potts أن العالم الفرنسي ج. اوبير J.Oppert قد سبق السير هـ. رولنسون بعدة شهور في الإشارة
 إلى أن دلمون هي جزيرة البحرين. انظر

Potts,D.,op.cit., vol.I,(1990) p.85:

(٣) يعود هذا النص إلى المعهد الكاشي، كما أشارت العديد من الدراسات ومنها خ. الناشف 'آلهة دلمون'، الوثيقة،
 مركز الوثائق التاريخية ٤، البحرين، (١٩٨٤)، ص ١٧١ .

Potts, D., ibid, p.306

Bibby,G., Looking for Dilmun, Penguin, London,(1984). (٤)

ج. بيبي، البحث عن دلمون، تر. أ. عبيدلي، نفوسيا، (١٩٨٥)، ص ٦٤ .

Rawlinson, H., op.cit., p.54. (٥)

Kramer,S., "Sumerian Myths and Epic Tales", A N E T, p.41. (٦)

العهد البابلي الآشوري باسم دلمون Dilmun، لم يتم إيجاد معنى دقيق لها^(٧). لكن هذا لم يمنع من طرح عدة اقتراحات لمعاني تلك المسميات تناولها ب. كورنوال B. Cornwall بشيء من التفصيل في أطروحته منذ ما يقرب من خمسين عاماً^(٨). وقد اتفقت آراء العديد من الباحثين مع رأي العلامة هـ. رولنسون على أن دلمون هي البحرين. غير أن هذا الرأي لم يلبث أن تعرض للنقد من حين إلى آخر، رغم أن المكتشفات الأثرية الحديثة في منطقة الخليج العربي ترجح هذه الدعوى، بل تدعمها بالحقائق عند مقارنتها بالنصوص الاقتصادية الواردة من بلاد الرافدين والتي تتحدث عن تجارة الشرق وعن كل من دلمون وماجان وملوخا. ويُعتبر س. كرامر S.Kramer من أوائل الذين عارضوا هذه الدعوى، وتعددت آراؤه بالنسبة للمنطقة التي أطلق عليها اسم دلمون، خاصة أن اعتماده الأول والأخير في مناقشته هذا الموضوع ينصبّ على ما جاء في أساطير الكتابات المسمارية وملاحمها. فعندما قام بدراسة أسطورة الطوفان التي تحدثت عن أرض دلمون «أرض العبور التي تشرق منها الشمس» والتي كوفى زبوسودرا Ziusudra الملك التقي بالعيش فيها مخلداً بعد نجاته ومن معه في الفلك. توصل إلى أن هذه الأرض بحب هذا النص،

Rawlinson, H., op.cit., p.49.;

(٧)

Macdam, H., "Dilmun revisited", Arabian Archaeology and Epigraphy, Vol.I, Copenhagen, (1990). p.52.

(٨) من المعاني التي وردت بشأن مصطلح Ni-Tuk أنها تعني بالسومرية 'المكان الذي يجلب منه النفط' أما كلمة -Kur Dilmun فتعني الجبل المظلم، أو القاتم أو الكبير أو العظيم. وفي المعين كليهما يرى الباحث وجود صلة لهما بجزيرة البحرين. فالمعنى الأول يشير إلى ما عرف عن تدفق النفط في الجزيرة والذي قد يعود إلى ذلك الزمن البعيد، أما بالنسبة للمعنى الآخر، وهو الجبل المظلم، أو القاتم أو الكبير، فقد يكون إشارة إلى جبل الدخان الواقع في منطقة عالي في منتصف جزيرة البحرين، والذي ما زال يحمل الاسم نفسه. إلا أن معطيات الوثائق الكتابية الحديثة تشير إلى أن kur السومرية في الأصل تعني الجبل، ولكن ساد استعمالها لكلمة بلاد land انظر:

Cron wall, P., "Dilmun: The History of Bahrain Island Before Cyrus", unpublished Ph.D. Dissertation. Harvard University, (1944), p.166.

ليست إلا الأراضي الواقعة جنوب غرب إيران^(٩). ثم لم يلبث أن صرح بأن دلمون ما هي إلا أرض الهند القديمة التي ازدهرت فيها الحضارات خلال الألف الثالث ق.م. فما عرف بحضارة موهنجودارو - حارابا^(١٠) Harappa, Mohenjo -Daro بناء على ترجمته لأهم أسطورة تتعلق بدلمون وهي أسطورة انكي وننخورساج «حيث أرض دلمون الطاهرة النظيفة المشرقة التي لا تعرف المرض أو الموت، ولكن تنقصها المياه العذبة النقية التي طلب إله الماء انكي من إله الشمس اوتو Utu أن يمدّها به، فأصبحت حديقة غناء تمتلئ بالمروج والبساتين الخضراء». وتتمر الأسطورة لتصور خلق الآلهة الأم ننخورساج لثمانية آلهة نصبت أحدهم سيداً على دلمون، وهو أنزاك^(١١) كما أسلفنا. ثم أكد هذه الفرضية من خلال ترجمته لنص أدبي عن دلمون يصفها بأنها أرض مباركة، أرض المساكن الطيبة التي تتجمع فيها كل المنتخبات الفاخرة لشتى الأقطار المتحضرة والتي تصلها عن طريق السفن في البحر، من مارهيش ومن ملوخا وماجان ومن عيلام وأور. ويشير النص بصفة

(٩) Kramer, S., "Dilmun The Land of Living", B.A.S.O.R. 96, (1944), pp.18-28.

(١٠) مدينتا موهنجودارو و حارابا، أهم مدينتين ازدهرت فيهما مظاهر حضارة وادي السند، أو كما تسمى أحياناً حضارة حارابا، التي ظهرت في الفترة ما بين ٢٣٠٠ - ١٧٥٠ ق.م. . وتقع كلا المدينتين على نهر السند وتبعد مدينة حارابا التي تقع إلى الشمال من مدينة موهنجودارو بحوالي ٤٠٠ ميل. وقد ازدهرت هذه الحضارة بفعل مقومات عديدة تمثلت بالاقتصاد النهري القائم في الأساس على الزراعة الكثيفة المعتمدة على مياه الفيضانات التي تغطي السهول في مواسم معينة من كل عام. وأيضاً التجارة البحرية مع مراكز الحضارات المجاورة وبفضل البقايا الأثرية في تين المدينتين تم التعرف على مبلغ التطور الذي وصلت إليه حضارة السند. وقد كشفت الحفريات الأثرية عن مباني من الطوب منصوبة على قواعد ومزودة بشبكة لتصريف المياه وتماثيل مختلفة لعربات من التيراكوتا، وتماثيل من العاج لساء وحيوانات وأختام حجرية مربعة ومستطيلة وأدوات نحاسية وأسلحة وأوزان وحصى من الأواني الفخارية المختلفة. أصبحت هذه البقايا مع ما تميزت به من عناصر فنية انفردت بها هذه الحضارة إحدى السمات المميزة لها والمعبرة عنها، في فترة تطورت فيها حضارات شرقية أخرى مثل الحضارة السومرية، في جنوب بلاد الرافدين، وفي المملكة القديمة في مصر. انظر : .

Fairservis, W.; Marshall, J; Dales, G, in , Ancient Cities Of The Indus, (ed.) G.Posschl, New Delhi, (1979). pp.66-89, 181-86, 307-12.

(١١) س. كرامر، السومريون، تر. ف. الوائلي، الكويت، (د.ت.) ص ١٩٧.

خاصة إلى تجار وبحارة من أور ومن ملوخوا ساهموا في نقل هذه الكماليات^(١٢)

إن كل هذه المعطيات التي تصف دلون بامتلاكها للبساتين اليبانة الخضرة، والمياه العذبة المتدفقة والمتاجر العظيمة الغنية بالمنتجات المختلفة، جعلت س. كرامر يستبعد أن تكون دلون هي تلك الجزيرة القاحلة (البحرين) الواقعة على تخوم الصحراء العربية.

وقد ناقش ب. كورنوال بتعمق آراء س. كرامر وخلص إلى أنه لا يجب الاعتماد على الكتابات الأدبية والأسطورية، بسبب وفرتها، في تحديد مواقع البلاد القديمة. فهناك الوثائق السياسية والاقتصادية، إضافة إلى الأوبد والمخلفات الأثرية في المناطق المرشحة لأن تكون أرض دلون. ثم ذكر أهم النصوص الممارية التي تشير إلى التطابق بين دلون والبحرين. وأورد نصين من أواخر العهد الآشوري الحديث .

فمن حوليات الملك الآشوري سرجون الثاني Sargon II (٧٢١-٧٠٥ ق.م.) أورد هذا النص:

(١) « اوبيري Uperi ملك دلون . . . يعيش مثل السمكة على بعد ٣٠ بيرو في وسط البحر الذي تشرق منه الشمس »^(١٣).

(١٢) Kramer, S., "Quest of Paradise", Antiquity 37, (1963). pp. 111-112

و انظر ترجمة النص، ص ٣١. انظر خارطة رقم ٤ ص ٢٩٤.

(١٣) فر. و. أولبرايت W. Albright هذا النص، وتوصل إلى أن ٣٠ بيرو = ٣٠٠ ميل، وهي المسافة نفسها تقريباً من البحرين إلى قم الفرات في عهد سرجون الثاني. انظر:

Albright, W., The "Mouth of the River", A.J.S.L. 35, (1918-19), p. 183.

٢) ومن الكتابات الأولى للملك الآشوري آشوربنيبال AshurBanipal (٦٦٨-٦٢٦ ق.م.) أتى بوصف دلمون إلى أنها تقع "وسط البحر الأدنى (الخليج العربي)".

ثم عرض الآثار المادية القليلة التي اكتشفها أثناء تنقيهِه في تلال جزيرة البحرين ومنطقة شرق الجزيرة العربية^(١٤). وقد زادت، كما نعلم، بعد وصول البعثة الدانيماركية إلى المنطقة وأضافت بعداً جديداً في دعم هذه القضية.

أما س. البدر فقد انتقد آراء س. كرامر بشأن تحديده لمنطقة دلمون، والتي بنيت على أسس ميثولوجية، كما رأينا، لتؤكد بأن دلمون تنطبق على البحرين والساحل الشرقي من الجزيرة العربية^(١٥).

ففي معرض رده على ادعاء س. كرامر بشأن وقوع دلمون شرق سومر، جنوب عيلام بناء على ما جاء في أسطورة الطوفان من أنها "الأرض التي تشرق منها الشمس" قال: إن السومريين أطلقوا اسم البحر الذي تشرق منه الشمس على الخليج العربي - فالخليج في نظرهم يقع إلى الشرق من سومر، وهذا دليل على أن دلمون تقع إلى الشرق من بلاد الرافدين.

أما ادعاء س. كرامر من أن دلمون تقع في بلاد السند كما استنتج من أسطورة انكي ونخورساج، حيث ظاهرة تقديس المياه العذبة النقية وانتشار البساتين والخضرة، فقد دحضه س. البدر بأن منطقة البحرين والساحل الشرقي من الجزيرة العربية توفرت به مياه الآبار العذبة والواحات، بل إن ظاهرة تقديس المياه

(١٤) Cron wall, P., "On The Location Of Dilmun", B.A.S.O.R.103, (1946), pp.3-11

(١٥) س.س. البدر، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول ق.م.، الكويت، (١٩٧٨)، ص ص ١٠٩-١١٦.

وجدت في البحرين في معابد باربار حيث ضمت أركان المعابد عيوناً للمياه يعتقد بأن لها صلة بطقوس العبادة^(١٦). في حين ترى ر. ثابار R.Thapar أن المراكز التجارية (دلمون-ماجنان-ملوخوا) تقع جميعها في شبه القارة الهندية، وأن دلمون تقع إلى الغرب منها، وكان اعتمادها الأول في طرح هذه الفرضية التحليل اللغوي الذي قامت به لأسماء المناطق الثلاث والذي تقول إنه يعود إلى اللغة السنسكريتية أو إحدى لغات الهند القديمة^(١٧).

وقد فند كل من الباحثة أ. كاسبرز E. Caspers و أ. كوفيندانكوتتي A.Govindankutty افتراضات الباحثة ر. ثابار عن طريق المناقشة الجادة للنقاط التي اعتمدت عليها في دراستها السابقة^(١٨).

وفي بداية الثمانينات أشارت دراسة ت. كارتير T. Carter إلى أن دلمون المبكرة كانت تطلق على منطقة القرنة Qurna الواقعة عند التقاء نهر دجلة بنهر الفرات جنوب بلاد الرافدين، اعتماداً على الوصف الخيالي الذي ذكرته الأساطير القديمة عن خصوبة أراضي دلمون ونباييها، ولكن الوضع لم يلبث، كما تصف الباحثة، أن تغير حيث أصبح اسم دلمون منذ ٢٢٠٠ ق.م. يطلق على ما اتفقت عليه أكثر الآراء، هو في جزيرتي البحرين وفيلكا والمنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية. وقد دعمت رأيها بندرة البقايا الأثرية التي تسبق هذا الزمن في

(١٦) س.س. البدر، المرجع السابق، ص ص ١١٥-١١٦.

(١٧) Thapar,R."A Possible Idetification of Meluhha,Dilmun and Makan",
J.E.S.H.O.Vol:18, (1975), pp. 1-42

(١٨) During- Caspers,E.,and R.Govindankutty,"Thapar's Dravidian Hypothesis for
the Location of Meluhha Dilmun and Makan",J.E.S.H.O. Vol:21,Leiden,(1978),
pp.8-145.

المنطقة^(١٩). لكن رأي الباحثة السابقة يشوبه شيء من الخطأ نظراً لأن الدراسات الأثرية التي قامت في شرق شبه الجزيرة العربية، أظهرت وجود بقايا أثرية مختلفة تعود إلى عصور مبكرة من تاريخ بلاد الرافدين^(٢٠). وعلاوة على ذلك فإن الباحثة لم تستخدم نفس المعايير في إثبات أن دلمون الباكرا كانت منطقة القرن، فهل عثر في تلك المنطقة على آثار دلمونية باكرا ترشحها لأن تكون دلمون المبكرة؟

هذه لمحة وجيزة عن بعض الآراء التي تناولت مسألة تحديد منطقة دلمون.

غير أننا لو أمعنا النظر، بعيداً عن تلك المعطيات الميثولوجية والسياسية فيما ذكرته النصوص الأدبية المتعلقة بالناحية الاقتصادية لمكانة دلمون، لوجدنا أن ما حظيت به من شهرة ومكانة مرموقة بين حضارات المنطقة، هو بسبب موقعها الجغرافي في وسط المراكز الحضارية القديمة. إذ سمح لها أن توفر الملجأ والمياه العذبة مما ساعد على قيام الرحلات التجارية بين المناطق المنتجة لخامات أولية ومواد كيميائية رغبت في الحصول عليها بلاد الرافدين السائرة في ركب التحضر والتي استطاعت أن تنشئ دويلات مدن City States في بدايات التاريخ البشري. فجرى البحث عن الخامات الصلبة التي تفتقر إليها منطقتهم من أحجار وأخشاب وأحجار كريمة، فكانت دلمون حلقة الوصل التي سهّلت عملية الوصول إلى مناجم تلك الخامات في الشرق. ويقول د. بوتس D. Potts: «دون شك أن التطورات التي حدثت للعلاقات التجارية بين مدن بلاد الرافدين ودلمون والتي بلغت ذروتها في عهد اسين-لارسا، هذه التطورات انتزعت الرضى والاستحسان من قبل التجار والكتّاب

(١٩) Carter, T. "The Tangible evidence for the earliest Dilmun", J.C.S. 33, (1981), pp. 210-223.

(٢٠) انظر ص ٣٤ من هذا الفصل (فرضية د. بوتس)

السومريين، كما رأينا في المديح والإطراء الذي وصفت به دلمون في أسطورة انكي ونخورساج التي ألفت في حوالي ٢٠٠٠ ق.م.^(٢١). وهذه رواية لنص أدبي يتناول أهمية دلمون والبضائع التي كانت تصل إليها من مختلف الأقطار، وهي عبارة عن تبيحة حمد من الإله انكي لدلمون^(٢٢)، تُقرأ على هذا النحو:

« فلتنقل إليك (أي لدلمون) الأرض التركية Turkish Land الذهب من هرالي Harali واللازورد. . . »

ولتمدك أرض مارخاشي Marhashi بالأحجار الكريمة والبلور

ولتمدك أرض ماجان بالنحاس العظيم قوة . . . والحجر البركاني الد Diorite وحجر أو U وحجر الشومان Shuman

ولتنقل إليك أرض زلمجار Zalamjar الصوف، والمعدن الجيد، . . .

ولتنقل إليك أرض عيلام . . . الصدف، والجزية الثقيلة. . .

ولتنقل إليك أور المقدسة ومنصة الملكية، والمدينة، الحبوب، وزيت السمسم، والثياب النبيلة، والثياب الجميلة، والبحارة.

فليمدك البحر الواسع بوفرتة

فلتكن المدينة- فلتكن منازل المدينة منازل طيبة.

فلتكن دلمون، منازل طيبة.

(٢١) Potts,D., "The Zagros Frontier and the Problem of Relations Between the Iranian Plateau and Mesopotamia in the 3rd Mill.B.C.", B.B.V.O.1, Berlin, (1987), p.42.

Kramer,S.,op.cit.(1963),p.114.

(٢٢)

وشعيرها شعيراً جيداً

ومواسم الحصاد فيها تعطي ثلاثة . . .

وأشجارها»^(٢٣)

وهناك قول مأثور في وصف بابل يقول «بابل بلحة دلمونية، فاكهتها حلوة المذاق».

يرى ك. بوتز K.Butz أن هذا تعبير فكري يتضمن تورية غنية بالمغزى تعكس ما دون في القوائم العائدة إلى عهود تالية: بأن دلمون تقف لتدل على الشيء النفيس "الرفيع" لأنها كانت موقعاً تجارياً^(٢٤) لتبادل بضائع الترف والرفاهية^(٢٥).

أصبح مسمى دلمون، المساوي لجزيرة البحرين، الأكثر شيوعاً، وحظي بقبول عدد كبير من الباحثين. وفي ظل المكتشفات الأثرية التي ازدادت مع مرور الوقت في المنطقة جعل هذا التعريف يرسخ في الأذهان. بل حرص العلماء والباحثون على التقصي والبحث عن المناطق الواقعة في المنطقة الشرقية من شبه

(٢٣) ج. بيبي، مرجع سابق، تر. أ. عبيدلي، ص ٢٦٤. م.ص. كرامر، مرجع سابق، تر. ف. الوائلي، ص ص ٤٠٢-٣، بتصرف.

(٢٤) Butz,K., "Zwei Kleine Inschriften Zur Geschichte Dilmun", B.B.V.O.2, Berlin, (٢٤) (1983), p.118-119.

(٢٥) وأرى أن التاريخ الحديث يعرض لنا صورة مشابهة لما كانت عليه دلمون، فرغم شح مواردها الطبيعية، إلا أنها بسبب موقعها المتميز حظيت باهتمام عالمي، ووجدت العديد من الكتاب الذين يسهون في الحديث عنها، وهي جزيرة هرمز الواقعة عند فوهة الخليج العربي شريان التجارة الدولي عبر عصور متباعدة، وهذه بعض من المقتطفات لما كتب عنها. يذكر ابن بطوطة « أن هرمز مدينة حنة كبيرة لها أسواق حافلة، وهي مرسى الهند والسند، ومنها تحمل سلع الهند إلى العراقيين وفارس وخراسان». ويقول الأب رينال « أصبحت هرمز عاصمة الامبرطورية اشتملت على جانب كبير من شبه جزيرة العرب من ناحية، وعلى فارس من ناحية أخرى. وفي إبان وصول التجار الأجانب كانت تبدو بمنظر أفخر وأجمل من أي مدينة في الشرق. وكان الناس من جميع أنحاء المعمورة يفتدون إليها يتبادلون السلع ويعقدون الصفقات التجارية في جو من الأدب والرعاية عما يندر مثله في أي مكان تجاري آخر».

الجزيرة العربية التي قد يشملها هذا المسمى بناء على المكتشفات المبكرة التي وجدت فيها.

وقد أشار ب. كورنوال منذ ما يقرب من نصف قرن مضى إلى الصلة التي تربط شرق المنطقة بجزيرة البحرين، وبالتالي شمول مسمى دلمون لمناطق أكثر اتساعاً من الجزيرة نفسها، فقد أوضح أن هنالك ستة نصوص كتابية من عهود الملك الآشوري سرجون الثاني، يقر فيها أنه أخضع بيت ياقين Bit-Iakin إلى حكمه وهي المنطقة التي تقع على شاطئ البحر المر على حدود دلمون^(٢٦).

وبيت ياقين كما يرى أغلب الباحثين اليوم هي مناطق تمتد في شرق شبه الجزيرة العربية وتضم برّ الكويت^(٢٧). ثم أبدى ملاحظة وهي أن انتشار تلال المدافن العائدة إلى العصر البرونزي، في كل من البحرين والشاطئ المقابل لها على البر الشرقي، كدليل على السمات الثقافية الواحدة التي تربط بينهم^(٢٨).

= وأخيراً هذا ما كتبه تاجر وسائح من لندن:

«إنها أجف جزيرة في العالم لأنه ليس فيها شيء ينبت سوى الملح فقط، حيث لا ماء فيها ولا خنب ولا مؤن، وكل الضروريات تأتي من فارس. ومع ذلك ففي هذه المدينة تجار من جميع الأمم وكثير من المسلمين والكنافار. وهنا تجارة عظيمة من جميع الأصناف، منها التوابل والأدوية والحرير وملابس الحرير والأقمشة الفارسية المزركشة ومخزن عظيم لللالء التي تأتي من جزيرة البحرين والتي هي من أحسن اللالء جميعاً».

وأضيف هنا هذا المثل الذي يذكرنا بالمكانة الأسطورية التي نظر بها سكان بلاد الرافدين لمن سكن دلمون ذات المسكن الطيبة، وأرض الخلود، المكان الذي تشرق منه الشمس» أما المثل الذي ضرب لهرمز فهو:

«إذا كان العالم خائفاً فإن هرمز ستكون الجوهرة فيه».

وعلى الرغم من كل هذا المجد لهرمز إلا أن رمالها لم تحفظ بكل هذا الإطراء، بلى حفظته كتب الرحالة والأدباء بعيداً عنها آلاف الأميال..... انظر: ابن بطوطة، رحيلة ابن بطوطة، تح. م. العريان. بيروت، (١٩٨٧)، ص ٢٨١. وانظر: أ. ويلسون، الخليج العربي، تر. ي. عبد القادر، الكويت، (د.ت.) ص ص ١٨٦، ١٩٣.

Cron wall, P., op.cit., (1944), p.13. (٢٦)

- - -, op.cit., (1946) p.6.; س.س. البدر، مرجع سابق، ص ١١٣. (٢٧)

Cron wall, P., op.cit. (1946), p.7. (٢٨)

وأضاف ج. بيبي G.Bibby عندما بدأ تنقيباته في جزيرة روت عام ١٩٦٤م أن هذا الموقع تابع للحضارة التي ازدهرت في البحرين مع نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق. م. والتي أطلق عليها اسم حضارة باربار. ولكنه صرح أيضاً أن هذه المنطقة تضم بقايا أثرية تسبق ما تم التعرف إليه من مخلفات حضارة باربار في البحرين^(٢٩).

تكاثرت البقايا الأثرية المكتشفة في شتى أقطار الخليج العربي إثر وصول البعثة الدانيماركية إليها وقيامها بحفريات في أكثر من منطقة في الفترة نفسها. وأدى هذا إلى ر العديد من الدراسات المتعلقة بالتصنيف الزمني لتلك اللقى الأثرية، وخاصة اللقى ذات الصلة الوثيقة ببلاد الرافدين، مما حدا بالباحث د. بوتس إلى افتراض أن منطقة دلمون في عصر السلاسل الباكرا أو حتى ما قبلها خلال فترة "اوروك" المتأخرة كانت تطلق على المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية، التي وجدت فيها مخلفات رافدية باكرا^(٣٠)، في حين يلحظ ندرة مثل تلك البقايا في البحرين وعدم رها حتى الآن (كما سنرى لاحقاً).

لكن الوضع لم يستمر على هذا المنوال، فمع نهاية عصر السلاسل الباكرا والدخول في العصر الآكادي حتى الفترة البابلية القديمة، أخذت مخلفات بلاد الرافدين بالاختفاء التدريجي في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية، حيث انتقل مركز الثقل ري إلى جزيرة البحرين، ومن ثم إلى جزيرة فيلكا، اللتين رت فيهما معالم ر حضارة دلمون في المنطقة. وقد تمثلت تلك المعالم

Bibby,G., op.cit.,(1984),p.343.

(٢٩)

Potts,D., "Dilmun:Where and When", Dilmun 11, (1983), pp.15-19

(٣٠)

بشكل واضح بما ظهر في دلمون من أوابد معمارية دينية ومدنية تم التعرف عليها في جزيرة البحرين، من خلال ما تم الكشف عنه من آثار دلمونية في موقع رأس القلعة ومعابد باربار وتلال المدافن، ومؤخراً في مباني مستوطنة سار، وغيرها. أما في جزيرة فيلكا، فتمثلت معالم الحضارة الدلمونية فيما ظهر بها من مستوطنات اشتملت على منازل سكنية وقصر ومعبد دلت على ما بلغته دلمون من ازدهار ورقي. وقد صاحب ظهور هذه الأوابد المعمارية الدلمونية بقايا أثرية من مختلف الحضارات المجاورة، علاوة على بقايا أثرية اختصت بها حضارة دلمون، يأتي في مقدمتها أختام دائرية منبسطة وأوانٍ فخارية مميزة، عرفت النوعية المتأخرة منها باسم فخار باربار. وقد كان لهذه الآثار المعمارية واللقى الأثرية دورها الكبير في رسم الإطار العام لهذه الحضارة التي ظهرت في منطقة الخليج العربي، منذ ما يقارب من ٥٠٠٠ سنة، وهو زمن ازدهار الحضارات الكبرى في بلاد الرافدين ومصر ووادي السند. كل ذلك حدث مع بقاء المنطقة الشرقية ضمن تلك الوحدة الثقافية التي انتقل مركزها إلى جزيرة البحرين في نهايات الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق.م.

ويعرض د. بوتس بأسلوب مقارن، ما طرأ على مسمى البحرين نفسه الذي كان يطلق في بداية العصور الإسلامية وما قبلها على الشاطئ الشرقي من شبه الجزيرة العربية، من الكويت حتى دولة الإمارات العربية حالياً. ثم انتقال ذلك المسمى إلى الجزر المقابلة له على الشاطئ، ويقترح أن مثل تلك العملية قد حدثت لاسم دلمون، فبعد أن كان يطلق على المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية أصبح يقتصر على جزرها المقابلة له^(٣١).

وتشير س. بنجر C.Piesinger في رسالتها المعنونة تراث دلمون والتي استندت على التنقيبات التي أجرتها في المنطقة الشرقية خلال ربيع ١٩٧٥م وخريف ١٩٧٦م إلى أن ماتوصل إليه د. بوتس بشأن انتقال التسمية من شرق الجزيرة العربية إلى البحرين، يعضده النتائج التي توصلت إليها خلال المكتشفات الأثرية التي تمخضت عنها حفرياتها، والتي يتكون أغلبها من مخلفات رافدية يعود أغلبها إلى عصر السلالات الباكرا، ويساند مساواة دلمون بالمنطقة الشرقية في تلك المرحلة المبكرة^(٣٢).

ثم عزت انتقال النشاط الملاحي من المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية إلى البحرين « إلى الانخفاض الذي حدث في مياه الخليج العربي خلال الألف الثاني ق.م. ، والذي كان له تأثيره المباشر على نشاط المستوطنات في كل من شرق الجزيرة والبحرين. فرغم انخفاض المياه على شواطئ المنطقة الشرقية إلا أن منسوب ارتفاعه على سواحل البحرين بقي كما هو، مما سمح برسو السفن التجارية المختلفة»^(٣٣).

وقبل اختتام موضوع المناطق التي شملها مسمى دلمون نورد رأي ب. ألستر B. Alster الذي يقول بأن « النصوص الكتابية تشير إلى أن دلمون جزيرة، وليست هنالك دلائل غامضة عن "دلمون القارية"^(٣٤). ومن وجهة نظر المصادر الكتابية وتاريخ الشؤون البحرية فإن تعريف دلمون بالبحرين هو الأنسب، وهذه المساواة هي الأصح في كل الفترات الزمنية لمراحل تاريخ بلاد الرافدين ». ثم يضيف أنه من

Piesinger, C., Legacy of Dilmun. Ph.D. University of Wisconsin, (1983), p.640. (٣٢)

---, ibid., P.640 (٣٣)

(٣٤) القارة قد يعني بها الباحث، الشاطئ الشرقي من الجزيرة العربية، أي الجانب القاري من دلمون.

«وجهة النظر التاريخية، فإنه يمكن أن نستخدم تعريف ثقافة دلمون ليشمل المسمى مناطق واسعة من الخليج العربي تتصل به حضارياً»^(٣٥).

ثم اعتبر عملية نقل التسمية من منطقة إلى أخرى بناء على البقايا الأثرية عملية صعبة ويشوبها العديد من المخاطر.

ثانياً - جغرافية منطقة الخليج العربي:

أ - بيئة منطقة الخليج :

الخليج العربي بحر داخلي، يتصل بخليج عمان عن طريق مضيق هرمز الذي يصله بدوره بالمحيط الهندي^(٣٦). ويقع بين خطوط العرض ٢٤, ٣٠ درجة شمالاً وخطوط الطول ٥٦, ٤٨ شرقاً ويبلغ طوله حوالي ١٠٠٠ كم، أما اتساعه فما بين ٢٠٠-٣٥٠ كم، ويصل إلى ٦٠ كم عند مضيق هرمز. والخليج ذو مياه فوق قارية epicontinental ضحلة، ويتكون من ثلاث مناطق متباينة تنتمي إلى الهضبة العربية. فهناك الحوض الشمالي الذي يعتبر امتداداً لمنخفض بلاد الرافدين، والرصيف الداخلي الذي يشمل المنطقة الشرقية والبحرين وقطر، وأخيراً الجزء الجنوبي الضحل الذي هو جزء من الربع الخالي^(٣٧).

والهضبة العربية جزء من شبه الجزيرة العربية التي تتركز على قاعدة من الصخور الأركية القديمة الصلبة التي كانت في الزمن ما قبل الكامبيري

Alster,B., "Dilmun, Bahrain, and the alleged Paradise in Sumerian Myth and Literature", B.B.V.O.2, Berlin, (1983) p.52. (٣٥)

(٣٦) م. متولي، و م. أبو العلا، جغرافية الخليج. الكويت، (١٩٨٢)، ص ص ١١-١٢.

Potts,D., op.cit., Vol:1, (1990), P.8. (٣٧)

Pre-Cambrian^(٣٨) متصلة بأفريقيا فيما يعرف باسم قارة جندوانالاند. وخلال الأزمنة الجيولوجية الأولى غطى بحر تيثس Tethys^(٣٩) في فترات متباعدة، المناطق الواقعة شرق المرتفعات الغربية لشبه الجزيرة العربية فيما يعرف الآن باسم مرتفعات السراة أو ما أطلق عليه الدرع العربي^(٤٠). وتراكمت الرواسب البحرية من رمال وجير وطين والمصاة بالصخور الرسوبية في إقليم شرق المرتفعات الغربية السابق الذكر، فعرف بالإقليم الرسوبي. وهو ماأشرنا إليه سابقاً باسم الهضبة العربية^(٤١). وقد تأثر هذا الإقليم بحركة الالتواءات الألبية التي كونت جبال زاغروس، فسببت ميلاً في طبقاته الرسوبية من الغرب نحو الشرق، وزاد هذا الانحدار في المنطقة المكونة لحوض الخليج الذي اتخذ شكل ثنية مقعرة^(٤٢)، في حين تقوست بفعل حركات القشرة الأرضية بعضُ جهات الإقليم فظهرت على شكل ثنيات محدبة بيطة مثل قبة الدمام وابقيق والبحرين، وقبة قطر وقبة الأحمد في الكويت^(٤٣).

(٣٨) العصر ما قبل الكامبري: قسم علماء الجيولوجيا تاريخ الأرض إلى ثلاث حقب :

١- حقبة الحياة القديمة Paleozoic

٢- المتوسطة Mesozoic

٣- الحديثة Cainozoic

وكل حقبة من هذه الحقب تشتمل على عدة عصور. ويعتبر العصر الكامبري(نسبة إلى قبيلة كانت تسكن مقاطعة ويلز)أول العصور المبكرة في الحقبة القديمة، نظراً لأن صخوره حوت أقدم بقايا حياة. وتعتبر صخورها قبل العصر الكامبري أقدم الصخور الموجودة على سطح الأرض. انظر: م. حسن وآخرون، أساسيات علم الجيولوجيا، الأردن، (١٩٩٠)، ص ٢٨-٢٩.

(٣٩) بحر تيثس: بحر عظيم غمر مناطق شاسعة في جنوب أوروبا وشمال أفريقيا وأواسط آسيا منذ العصر الأخير في

حقبة الحياة المتوسطة. انظر: ز. النجار، وأ. داوود، صور من حياة ما قبل التاريخ. الكويت، (د.ت.) ص ٨٨.

(٤٠) م. أبو العلا، جغرافية شبه جزيرة العرب، القاهرة، (١٩٦٥)، ص ٣٣.

(٤١) م. أبو العلا، المرجع السابق، ص ١٩-٢٣.

(٤٢) - - - المرجع السابق، ص ٢١-٢٢. م. متولي، و م. أبو العلا، المرجع السابق، ص ٤١.

(٤٣) م. متولي، حوض الخليج العربي، القاهرة، (١٩٧٠)، ص ٦١.

وفي منتصف الزمن الثالث (حقبة الحياة الحديثة) تقلص بحر تيش إلى وضعه الحالي المتمثل بالبحر المتوسط، وأدت عوامل جيولوجية أخرى من تكسر وتعرية إلى انفصال جبال عمان عن سلسلة جبال زاجروس، فأحدثت فتحة هرمز التي أوصلت مياه المحيط الهندي بحوض الخليج العربي^(٤٤).

ب - مناخ المنطقة في العهود الباكزة وأثره على مصادر المياه العذبة :

مع بداية عهد البلاستوسين Pleistocene^(٤٥) من حقبة الحياة الحديثة منذ حوالي ٢ مليون سنة تقريباً، والذي امتد حتى عهد الهولوسين Holocene منذ حوالي ٨٠٠٠ ق.م.، كانت الأرض تقترب من صورتها الحالية. وقد تميز هذا العهد بزحف الجليد على القارات حتى سمي بعهد الجليد العظيم The Great Ice Age، وقد عرفت أربع عصور جليدية Glacial Ages تخللتها فترات انحسار جليدي Interglacial Ages^(٤٦). وقد ظهر اعتقاد بأن المنطقة شبه الاستوائية والتي من ضمنها شبه الجزيرة العربية شهدت خلال تلك العصور الجليدية في أوربا فترة عصور مطيرة^(٤٧).

غير أن الدراسات الحديثة والمتعلقة بتغيرات المناخ في تلك الفترة، أشارت

(٤٤) م. أبو العلا، مرجع سابق، ص ٢١-٢٢.

(٤٥) قسّمت حقبة الحياة الحديثة إلى قسمين، وهما: حقب الدور الثالث Tertiary، وحقب الدور الرابع Quaternary. وتشمل حقبة الدور الرابع عهدي البلاستوسين والهولوسين، أو ما يسمى بعهد الإنسان. انظر: ز. النجار، مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٤٦) م. حسن وآخرون، مرجع سابق، ص ٤٩١.

(٤٧) Potts,D.,op.cit.,(1990),p.17. ;

(٤٧) م. أبو العلا، مرجع سابق، ص ٧٧.

إلى أن المناطق الدافئة لم تتأثر بعمليات الزحف الجليدي^(٤٨).

وفي الحقيقة إن المنطقة مرت بعصور رطبة قبل العهد الجليدي في أوروبا، عملت على تشكل الناحية المورفولوجية لسطح الجزيرة من خلال ما ظهر من أودية ضخمة شقت مجاريها بعمق في قشرتها الخارجية^(٤٩). في حين عاشت الجزيرة والخليج فترة جفاف خلال عهد البلاستوسين، وشهدت الفترة المتأخرة منه تساقطاً في الأمطار أكدتها مخلفات البحيرات من طمي وغرين في الجزء الجنوبي الغربي من الربع الخالي^(٥٠).

كان لهذا التناقص في تلك الحقب الزمنية المختلفة أثره العظيم على الطبقات الرسوبية والمتراكمة في الهضبة العربية، والمائلة كما أسلفنا نحو الشرق، في إغنائها بكميات غزيرة من المياه العذبة التي أمدت المنطقة الشرقية بمورد هام ما زال يستخدم حتى الآن^(٥١).

وفي بداية عهد الهولوسين، أي منذ حوالي ١١٠٠٠ عام^(٥٢)، تعرضت المنطقة لتذبذب مناخي، إذ مرت بفترات جفاف حادة، تخللتها فترات رطبة كانت ذروتها في هذه البداية. ثم بعدها، في الفترة ما بين ٦٤٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م.، أعقبتها فترة جفاف استمرت حتى ٣٠٠٠ ق.م.، والتي شهدت فترة رطبة حتى

Hotzl,H.,and J.Zotl,"Climatic Changes during the Quaternary Period", (٤٨)

Al-Sayari,S. and Zotl,J.Quaternary Period In Saudi Arabia Vienna, (1978).p.304.

Potts,D.,op.cit.,Vol:I,(1990),p.16. (٤٩)

Piesinger,C.,op.cit.,Vol:I,p.48. (٥٠)

Potts,D.,ibid,p.17.

Potts,D.,ibid,p.18. (٥١)

(٥٢) م. حسن ، وآخرون، مرجع سابق، ص ٤٩١.

٢٠٠٠ ق.م.، عُرِفَت من خلال الآثار المتبقية لارتفاع منسوب مياه البحيرات. وقد وجدت آثار هذه البحيرات بالقرب من الهفوف، في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية، في زمن يعاصر ظهور السلالات الأولى في بلاد الرافدين. وبقي هذا التذبذب في المناخ حتى ١٣٠٠ ق.م. الذي ظهر فيه الجفاف بحدة حتى وقتنا الحاضر^(٥٣).

وهكذا فإن الطبقات الصخرية الرسوبية الحاوية للمياه العذبة التي استفاد منها شرق الجزيرة أمدت البحرين أيضاً بالمياه فتدفقت في أرض خليجها، وفي الآبار التي حفرت فيها منذ ٣٠٠٠ ق.م^(٥٤).

أما عن حوض الخليج فإنه قد تأثر بانخفاض مستوى مياه البحار في جميع أنحاء العالم خلال فترة الذروة في العصر الجليدي، حيث أصبح أرضاً يابسة يمر بها مجرى نهري دجلة والفرات مجتمعين اللذان يصبان في مضيق هرمز^(٥٥). واعتباراً من أواخر العصر الجليدي، أي منذ حوالي ١٤٠٠٠ ق.م.، أخذت مياه البحار بالارتفاع بشكل متزايد ومطرّد حتى غمر منطقة الخليج في حوالي ٤٠٠٠ ق.م.، فانفصلت بذلك المرتفعات التي ستكوّن كلاً من جزيرة البحرين وفيلكا، وغيرها من الجزر، عن الأرض العربية التي أصبحت شبه جزيرة^(٥٦). وبقيت مياه الخليج في حالة تذبذب بين ارتفاع وانخفاض لفترات طويلة^(٥٧). ثم انخفض

Larsen,C.,Life and Land Use on the Bahrain Island, London, (1983), pp.196-170. (٥٣)

Larsen,C.,ibid,p.133.; Potts,D.,op.cit,vol:1,p.22. (٥٤)

Nutzel, W." The Formation of the Arabian Gulf From 14000-3500 B.C.", (٥٥)
Sumer 31,(1975), pp.101-109.

(٥٦) هـ. . الصندي، الوجيز في تاريخ حضارات آسيا الغربية، دمشق، (١٩٨٤)، ص ٧٩.

Potts,D.,ibid,p.15. (٥٧)

مستوى المياه قرب السواحل، في نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق.م. الأمر الذي كان له أثره على المستوطنات الساحلية التي قامت بمحاذاة شواطئ الخليج، وكان البب، كما تشير س. بنجر، في انتقال المركز الاقتصادي لدلمون من المنطقة الشرقية في الجزيرة العربية، وعلى الأخص جزيرة تاروت، إلى جزيرة البحرين^(٥٨).

ثالثاً- العلاقات الباكرة بين دلمون وبلاد الرافدين حتى الألف الثالث ق.م :

لاشك أن بداية معرفتنا بدلمون تمت من خلال الكتابات المسمارية المكتشفة في مدن الجنوب الرافدي. غير أن الشواهد الأثرية التي اكتشفت في أرجاء دلمون تشير إلى عمق الصلات الحضارية التي ربطت بينها وبين المدن الرافدية، منذ فترات زمنية مبكرة تسبق العصور التاريخية.

وسنعرض لهذه العلاقات الباكرة، بين كل من المنطقتين السابقتين، لأنها تشكل البداية الأولى لسلسلة متصلة من الحلقات المستمرة عبر الزمن، والتي ابتدأت مع بلاد الرافدين، ثم اتسعت لتشمل مناطق أخرى تقع إلى الشرق من دلمون، مثل وادي السند، وإلى الغرب حتى مناطق آمورو.

آ- العلاقات خلال المرحلة التي تسبق العصور التاريخية:

أظهرت المكتشفات الحديثة وجود مخلفات أواني الفخار المنسوبة إلى تقاليد صناعة ثقافة العبيد^(٥٩)، في أكثر من خمين موقعاً، على امتداد الساحل الغربي

Piesinger,C.,op.cit.,Vol:I,p.62.

(٥٨)

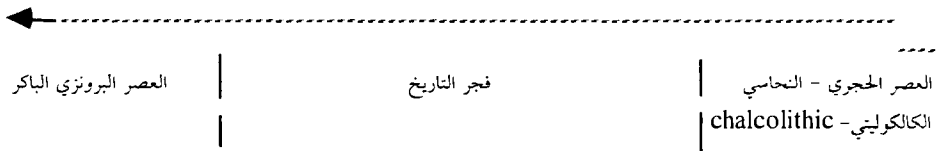
(٥٩) يسبق العصر الحجري-النحاسي العصور التاريخية التي بدأت في حوالي ٣٠٠٠ ق.م. وقد قسمه الباحثون إلى عدة أدوار بالنسبة للمواقع التي عثر فيها على الآثار الممثلة لكل منها. مثلاً دور حونة وسامراء وحلف والعبيد والوركاء وجمدة نصر، وقد سميت الأدوار الأخيرة منه بأسماء مثل: فجر التاريخ، أو العصر الشبيه بالكتابي. وتمثل أهم معالم هذا العصر بتحول =

للخليج العربي، من شمال المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية حتى دولة الإمارات مؤخراً^(٦٠). ورغم هذا الظهور للفخار العبيدي في المنطقة إلا أنه اقترن باستمرار إنتاج وصناعة الأدوات الحجرية (الصوانية)^(٦١) فيها.

= الإنسان من جامع للقتل إلى منتج له، وقيام المجتمعات الزراعية، والعناية بتربية الحيوانات وتدجينها، فازدادت القرى الزراعية التي تحولت إلى مدن أخذت بدورها تطور مبانيها وخاصة المعابد. وتظهر كذلك أهم التطورات في صناعة الفخار، إذ سمي هذا العصر باسم الفخار المتعدد الألوان polychrome، علاوة على ماواكب هذا التطور الحرفي من ظهور فن النحت، واستخدام العربة ذات المعجلات، وفن صناعة الأختام الاسطوانية. وتميز كل دور من هذه الأدوار بخصائص ذاتية لصناعاته المختلفة من أوانٍ فخارية أو أختام أو غيرها أصبح يعرف بها عن كثب. انظر: هـ. الصنفي وآخرون، الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض، (١٩٨٨) ص ٤٠٤.

تقوم زمني للصور الباكرا في بلاد الرافدين:

٤٥٠٠	٤٣٠٠	٣٩٠٠	٣٥٠٠	٣٤٠٠	٣٣٠٠	٣١٠٠	٢٩٠٠	عصور تاريخية
فترة								
العبيد ٢	العبيد ٣	العبيد ٤	اوروك	اوروك	اوروك	جمدة نصر	عصر السلالات	
		الباكرا	الوسطى	المتأخرة	العصر الشبيه	العصر الشبيه	السومرية	
			بالكتابي	بالكتابي	بالكتابي	بالكتابي	الباكرا	
			(١)	(ب)	(ج+د)			



Porada, E., "The Relative Chronology of Mesopotamia", Part I, Seals and Trade (6000-1600 B.C.), (1965), p. 176.

انظر:

Potts, D., ibid, pp. 53-55.

(٦٠)

Burkholder, G., An Arabian Collection Artcraft From the Eastern Province, Boulder City, (1984), p. 17.; Oates, J., "The Gulf Pre-History", B.T.A., London, (1986), p. 86.

(٦١)

وقد أثار وجود الفخار العبيدي في المنطقة اهتمام الباحثين ومحاولة تفصي أسباب ظهوره فيها، فظهر الاختلاف والجدل حول هذه الأسباب^(٦٢). وقد أشار ع. مصري، في بداية دراسته لظاهرة وجود الفخار العبيدي في المنطقة، إلى إمكانية كون هذه المنطقة الموطن الأم للثقافة العبيدية. وقد انتقلت هذه الثقافة مع العبيدين أثناء تحركهم نحو الشمال إلى بلاد الرافدين^(٦٣). ثم ما لبث الباحث السابق أن صرح بأن الفخار العبيدي في المنطقة يعود إلى أسباب طبيعية تتعلق بالتأثر بعوامل المناخ والبيئة، من جفاف وتصحر في المقام الأول أدت إلى اضطراب بعض سكان المنطقة المحليين إلى القيام بهجرات موسمية، أو شبه موسمية، إلى مناطق الشمال، أي جنوب بلاد الرافدين، المناطق التي ظهر فيها استخدام الأواني العبيدية وصناعتها. وبعد عودة تلك الأقوام النازحة إلى مناطقها الأصلية كان ظهور الفخار العبيدي المصنع محلياً، أي أن تقنية صناعته أتت بها سكان المنطقة بعد عودتهم من جنوب بلاد الرافدين^(٦٤). وقد ثبت خطأ هذه الفرضيات من خلال قيام بعض من العلماء الباحثين بدراسات، وعمل تحاليل كيميائية لصلصال بعض قطع الفخار العبيدي المكتشفة في المنطقة، فأثبتوا بما لا يدع مجالاً للشك أن مادة صلصالها تعود إلى نفس المادة التي صنعت منها الأواني العبيدية في مدن جنوب بلاد الرافدين^(٦٥). كما أدت الدراسات التي أجريت على قطع الفخار العبيدي

(٦٢) ---, "Pre-history in Northeastern Arabia", Antiquity 50, Vol: L, (1976), pp. 20-31.

(٦٣) Masry, A. Prehistory in North Eastern Arabia, Miami, (1974), p. 13.

(٦٤) ع. مصري، 'ما قبل التاريخ في شرق المملكة العربية السعودية وشمالها'، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام، الرياض، (١٩٨٤)، ص ص ٨٢-٨٥-٨٦.

(٦٥) Oates, J., et. al. "Seafaring Merchants of Ur?", Antiquity, Vol: LI, (1977), p. 232.

المكتشف في المنطقة، إلى تحديد مختلف أطوار ثقافة العبيد التي وجدت مخلفاتها فيها، وأظهرت أن كسر الفخار العبيدي لأهم المواقع في شرق شبه الجزيرة العربية، وهي عين قناص وأبو خميس والدوسرية، تعاصر الطور الثالث من زمن العبيد ولا ترقى إلى أكثر من أواخر الطور الثاني^(٦٦) كما تتزامن مع مخلفات العبيد لموقع الدعسة في قطر التي تعود إلى الفترة ما بين ٤٣٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م.^(٦٧) أي الفترات المتأخرة، لا الباكرا، من ثقافة العبيد. وهذا ما أكدته أيضاً مخلفات المواد الفخارية العبيدية في موقع الخور في قطر، فهي تعود إلى الطور الثالث وبداية الطور الرابع، من زمن ثقافة العبيد^(٦٨)، بينما ترجع مخلفات موقع رأس ابروق في قطر أيضاً، وموقع المرخ في البحرين إلى فترة متأخرة وتعتبر الطور الأخير من أطوار ما بعد ثقافة العبيد Post- Ubaid في بلاد الرافدين، والذي عرف بثقافة أورك Early-Uruk أو الوركاء الباكرا.^(٦٩)

ولقد صاحب وجود الفخار العبيدي في المنطقة، وجود أنواع من الخرز والسبح Beads etc... إضافة إلى نصال وسكاكين من حجر الاوبسيدين Obsidin، الذي أكد وجودها حتمية قيام الاتصالات مع شمال بلاد الرافدين التي وصل

--- ,op.cit.,(1986),p.85.

(٦٦)

Oates,J., "Ubaid Mesopotamia and its relation to Gulf

(٦٧)

Countries", Smith.G. "Al-Da'asa Site 46", Qatar Archaeological report Excavations 1973, op.cit., pp.44-75.

(٦٨) ماري . انيزان، وآخرون، البعثة الفرنسية للآثار في قطر، م ٢، باريس، (١٩٨٩).

Raof,M., "Excavations at Al-Markh, Bahrain, a Fish Midden of the South

(٦٩)

Mill.B.C.", Paleorient 2. 1974, pp.499-501.;

Oates,J., op.cit., (1976), p.28.

الأوبسيدين عن طريقها من مناجمه في بلاد الأناضول^(٧٠).

وقد أعقبت ثقافة العبيد في جنوب بلاد الرافدين، مرحلة زمنية عُرفت بعصر الوركاء كان لها أثرها الجلي على التطور الحضاري في المنطقة، حيث جرت في أواخر مراحلها المحاولات الأولى لبدء التجليل والكتابة^(٧١). وقد أشارت أغلب الدراسات المتعلقة بشرق شبه الجزيرة إلى اختفاء المخلفات المادية العائدة لعصر الوركاء، اللهم إلا من تلك الكسر الفخارية النادرة في كل من قطر والبحرين والتي تعود إلى بداية عصر الوركاء الباكر^(٧٢). بل استمرت مخلفات المواقع الحجرية في الانتشار بعد اختفاء فخار العبيد من المنطقة، وكان موقع المرخ في البحرين من المواقع الهامة التي تمثل فيها بشكل واضح التحول المعيشي في المستوطنة العبيدية القائم على صيد الأسماك واستخدام الفخار إلى اختفاء الفخار والاعتماد على الصيد البري والقنص بواسطة الأدوات الحجرية على غرار ما استخدمه أسلافهم، وقد أثار هذا التحول الدهشة لدى عدد من الباحثين^(٧٣).

وإذا أمعنا النظر في ملابسات هذا التحول فإنه قد يمكن القول إن الأقوام التي استخدمت الفخار وقامت معيشتهم على الصيد البحري، ماهم إلا أقوام عبيديون وفدوا إلى المنطقة عبر البحر في أوقات متباعدة، وأقاموا فيها بعضاً من

(٧٠) ر. الهاشمي، آثار الخليج العربي والجزيرة العربية، بغداد، (١٩٨٤)، ص ١١٢.

De Cardi, B., "Some aspects of Neolithic Settlement in Bahrain and adjacent regions ", B.T.A., (1986), p.92.

(٧١) ع. صالح، الشرق الأدنى القديم، القاهرة، (١٩٩٠)، ص ٤٣٨.

(٧٢) هـ. الصفدي وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٩٧. ع. مصري، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٧٣) Oates, J., op.cit., (1982), p.365.;

Potts, D. op.cit; Vol: I, (1990), p.52

الزمن، بعد أن تركوا شيئاً من مخلفاتهم ورحلوا^(٧٤). في حين أن الجماعات المستخدمة للأدوات الحجرية جماعات رحل من سكان الجزيرة العربية يجوبونها وجزرها مثل عهدنا بهم منذ الأزل، تحركهم الظروف والتغيرات البيئية التي تحدث من جفاف ورطوبة، للسعي وراء الطرائد وما توفره الطبيعة من مختلف أسباب الحياة.

وقد فسر عدد من الباحثين اختفاء مخلفات عصر الوركاء إلى أنه يعود إلى الزيادة في نسبة الجفاف التي تعرضت لها المنطقة خلال النصف الثاني من الألف الرابع ٤٠٠٠ ق.م^(٧٥).

ب - العلاقات بين دلمون وبلاد الرافدين من فجر التاريخ إلى عهد السلالات الباكورة

وتنتهي مرحلة غياب الشواهد الأثرية الدالة على صلات مع بلاد الرافدين، بظهور مخلفات تعود إلى فترة جمدة نصر في شبه الجزيرة العربية. وقد تركزت أغلب هذه المخلفات واللقى في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية وبالتحديد في شبه الجزيرة العمانية، حيث أظهرت بعض الحفريات التي قامت بها البعثات الأجنبية^(٧٦)

Oates,J.,op.cit.,(1977),p.232-33.

(٧٤)

Oates,J.,op.cit.,(1982),p.346.;

(٧٥)

Larsen,C.,op.cit.,(1983),p.146.;

Potts,D.,ibid,p.62.

Bibby,G.,op.cit.,p.316.

(٧٦)

Caspers D,E." Trucial Oman in the 3rd Mill.B.C.", Origini,Rome,(1970).

- - - , "New Archaeological Evidence For Maritime trade in

the Persian Gulf During the Protoliterate Period", E.W., Rome, (1971).

=

وجود فخّار جمدة نصر^(٧٧) المزخرف والمتعدد الألوان بشكل وفير في مقابر العديد من المناطق العمانية، وكانت مقابر حَفَيْت Hafit في واحة البريمي من أوائل المدافن التي نَقَب فيها، مقابل التزر اليسير الذي وجد في جزيرة العرب والبحرين^(٧٨).

أما ما وُجد في البحرين فهو عبارة عن كسرة واحدة من كسر فخار جمدة نصر المتعدد الألوان في الطبقة الأولى من معبد باربار الأول، دون أن تكون معاصرة زمنياً لتاريخ المعابد المكتشفة هناك^(٧٩)، وختم دائري على غط أختام جمدة نصر في إحدى مقابر الحجر العائدة إلى الفترة الكاشية، ولكن كما بينت أ. بورادا E.Porada بأنه « وصل إلى البحرين في وقت متأخر عن زمن صنعه »^(٨٠). أما في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية فقد وجد حتم اسطواني عثر عليه في شمال موقع العقير يحاكي أسلوبه أنماط أختام جمدة نصر أيضاً، واختلف الباحثون في تحديد زمنه، فالبعض أشار إلى أن هذا الأسلوب في الصنع لم يكن مقتصرًا على فترة جمدة نصر فقط، بل امتد خلال فترة زمنية طويلة، وأفاد البعض الآخر

= Potts,D., "Eastern Arabia and the Oman Peninsula during the Late Fourth and Early Third Millenium.B.C.", eds.U. Finkbeiner and W.Rolling, Gamdat Nasr:Period of Regional Style?.(A Symposium held in Tübingen November,1983), Wiesbaden, (1986), pp.127-137.

(٧٧) انظر ص ٤٢، هامش ٥٩.

Potts.D.,ibid,pp.127-137.

(٧٨)

Mortensen, P. "On the Date of the Temple of Barbar in Bahrain", Kuml. (1970).

(٧٩)

---, "The Barbar Temple:Its Chronology and Foreign Relations Reconsiderd" B.T.A.p.178.

Potts,D.,op.cit.,(1986),p.124.;

---, op.cit., Vol:I,(1990),p.64.

Porada,E., "Unpublished Report on Seven Seals from Hajar(1) Excavations-1970". (٨٠)

إلى أنه يعود إلى فن الجليتك العيلامي في أواخر الألف الثاني ٢٠٠٠ ق.م^(٨١).
ومع بداية الألف الثالث ٣٠٠٠ ق.م. تغير الوضع حيث ازدادت البقايا الأثرية
الواردة من جنوب بلادالرافدين والتي تعود إلى عصر السلالات الباكرا في المنطقة
الشرقية من الجزيرة العربية، في الوقت الذي ندرالعثور عليها في جزيرة
البحرين^(٨٢).

ويرى ك. لارسن أن زيادة تلك المعثورات الأثرية قد تعود إلى التحسن في
المناخ وارتفاع نسبة التساقط في الأمطار، وبالتالي انتعاش بعض البحيرات في
المنطقة الشرقية التي قام على أطرافها العديد من المواقع لمستوطنات وتلال المدافن
التي حوت أوان وقطعاً فخارية تشابه نظائر لها من مدن جنوب بلاد الرافدين في
زمن السلالات الباكرا الأولى والثانية^(٨٣)، والتي أسفر عنها تنقيبات س. بسنجر في
كل من حقول تلال ابقيق وفي موقعي أم الرماد وأم النويس^(٨٤)، إضافة إلى ما
وجد من لُقى سطحية بين مدينتي الدمام والظهران تعود إلى الفترة الزمنية
نفسها^(٨٥).

ويعتقد أن جزيرة تاروت الواقعة إلى الشرق من واحة القطيف لعبت دوراً
هاماً بالنسبة لصلات المنطقة مع بلاد الرافدين خلال هذه الفترة، حيث وجدت
تقريباً ستمئة قطعة بين إناء مكتمل وكسر مبعثرة لأوانٍ حجرية من الحجر الصابوني

Potts,D.,op.cit.,Vol:I,(1990),p.64.

(٨١)

--- , op.cit.,(1986),p.124.

--- ,ibid.p.125.

(٨٢)

Larsen,c."The Early Environment and Hydrology of Ancient Bahrain",
B.B.V.O.2 Berlin.(1983),p.17.

(٨٣)

Piesinger,C.,op.cit.,Vol:I,pp.456-6.

(٨٤)

Potts,D.,op.cit.,(1986),p.124.

(٨٥)

(الاستياتيت والكلورشييت) Steatite, Chloriteschist المنقوش وغير المنقوش والتي تضاهاى الكثير مما وجد في مدن بلاد الرافدين في فترة السلاسل الباكرة الثانية والثالثة^(٨٦).

وفي دراسة تحليلية مقارنة لبعض الأواني من الحجر الصابوني مماثر عليها في جزيرة تاروت، وجد أن العناصر المكونة لحجر هذه الأواني تتشابه إلى حد كبير مع مادة أوانٍ من الحجر الصابوني المكتشفة في كل من جزيرة فيلكا ومدينة ماري وبسمايا (حالياً أدب) مما يشير إلى أنها قد تكون من مصدر واحد. ويرى بعض الباحثين أن هذا المصدر قد يعود إلى المنجم المكتشف حديثاً لهذا الحجر، والذي يبعد حوالي ١٥٠ إلى ٢٠٠ كم من جنوب غرب الرياض. هذا بالإضافة إلى أن مجموعة أخرى من تلك الأواني تشير مادة حجارتها إلى تشابه مع مواد حجارة أوانٍ مكتشفة في عدد من مدن جنوب بلاد الرافدين مثل أور وكيش وغيرها^(٨٧).

وقد أمدتنا جزيرة تاروت أيضاً بثلاثة تماثيل نادرة تعود إلى فترة عصر السلاسل الباكرة نفسها تقريباً، أحدها من الحجر الجيري ويبلغ طوله ٩٤ سم^(٨٨)

(٨٦) ج. زارينس. «قائمة الأواني المصنوعة من الحجر الصابوني بمتحف الآثار والتراث الشمسي في الرياض»، أطلال ٢ (١٩٧٨)، ص ٧٥.

Burkholder, G. "Steatite Carvings from Saudi Arabia", Artibus pp.306-22.;
Potts, D., op.cit., Vol: I, (1990), p.66.

(٨٧) ج. زارينس، مرجع سابق، ص ٧٨.

Potts, D., op.cit., (1986), p.120.
---, op.cit., Vol: I, (1990), p.67.

(٨٨) التمثال مودع في متحف الرياض. ويجدر أن نشير إلى أن الدكتور صبحي أنور رشيد كان أول من نشره وأرخه في مؤتمر الآشوريات الخامس عشر في ميونيخ، عام ١٩٧٢. انظر:

Rashid, S.A. "Eine Fruhdynastische Statue von der Insel Tarut im Persischen Golf", Bayerische Akad. d. Wiss., Phil. -Hist. Kl., NF75, (159-66).

لرجل عار، حليق الرأس، مضموم اليدين في هيئة وضع المتعبد الذي عرف في تماثيل بلاد الرافدين. ويشير د. بوتس إلى أن هنالك تماثلاً من النحاس وجد في مدينة خفاجة يعود لفترة السلالات الباكرا الثانية يشابه تماثل جزيرة تاروت^(٨٩)، بينما كان ج. بيبى قد أوضح عندما نشر عن هذا التمثال لأول مرة بأنه يحاكي تماثيل تعود إلى الفترة نفسها وجدت في ماري^(٩٠). في حين أشار غيره من الباحثين إلى أن هذا التمثال قد يعود لفترة أقدم من فترة السلالات الباكرا^(٩١).

وإضافة إلى هذا التمثال هنالك تماثل صغير من اللآزورد Lapis Lazuli على هيئة شخص يقال بأن أسلوب صنعه يناظر أسلوب تماثيل من السلالة الباكرا الثانية أيضاً^(٩٢). والتمثال الأخير لرأس ثور من النحاس أو البرونز يذكر د. بوتس أنه رغم ما لهذا التمثال من نظائر في بعض مدن بلاد الرافدين، إلا أنه يختلف عنها في الأسلوب^(٩٣).

ومن خلال الحديث السابق عن أهم المخلفات الرافدية منذ فترة العيد حتى عهد السلالات الباكرا يتضح أن منطقة دلمون لم تكن بمعزل عن التطورات الجارية في مدن بلاد الرافدين. وقد ربط بعض الباحثين بين الأحداث التي جرت في شمال بلاد الرافدين في مناطق سوريا وشرق الأناضول وأثرها في إبراز أهمية

Potts,D., ibid,p.68. (٨٩)

Bibby,G.,op.cit.,(1973),p.33. (٩٠)

Ippolitoni-S,F., "The Tarut Statue as a peripheral Contribution to the Knowledge of early Mesopotamian Plastic Art".B.T.A., pp.311-324. (٩١)

Potts,D.,op.cit.,(1986),p.125. (٩٢)

Potts,D.,Vol:I.Op.cit.,(1990),p.68. (٩٣)

منطقة الخليج من الناحية الاقتصادية^(٩٤).

وقد أورد د. بوتس ما أشار إليه ج. ميلارت J.Mellaart من أن سيطرة شعوب سوريا في نهاية عصر الوركاء على المستعمرات التي أقامها السومريون كتجار في شمال بلاد الرافدين وحتى شرق بلاد الأناضول على طول الخطوط الموصلة إلى مناجم المواد الخام، أدت إلى أن يتجه سكان جنوب بلاد الرافدين إلى المناطق الواقعة إلى الجنوب منها على البحر الأدنى، للبحث عن مصادر أخرى للخامات والمعادن المحتاجين إليها بعد أن فقدوا مستعمراتهم في الشمال^(٩٥). فكان ظهور مخلفات جمدة نصر بوفرة في المناطق العمانية القريبة من مناجم النحاس، وعلى الخطوط المؤدية إليها. ولكن الانتشار الواسع لمخلفات جمدة نصر إلى الشرق والشمال، ومن ثم إلى الجنوب من مدن جنوب بلاد الرافدين، جعل أ. بورادا^(٩٦) تطلق على هذه الفترة مسمى « بداية العالمية » The Incipient Internationalism، وأدرجت منطقة الخليج ضمن أحد أقطابها^(٩٧). ثم ازدادت مخلفات السلالات الباكرا فيما أمكن التعرف عليه، خاصة من جزيرة تاروت، وأهمها أواني الحجر الصابوني المنقوشة والتي تعتبر كأحد المواد

Mellaart,J., "Mesopotamian Relations with the West (٩٤)

Including Anatolia", B.B.V.O.I, Berlin,(1987),pp.7-12.

Moorey, P., "The Archaeological Evidence For Metallurgy and related technologies in Mesopotamia,5500-2100B.C."

Iraq Vol:64, London,(1982).

Potts,D., "The Jamdat Nasr Culture Complex in Arabian Gulf ca.3000 B.C.". (٩٥)

انظر: دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الثاني الجزيرة العربية قبل الإسلام، الرياض، (١٩٨٤) ص ٩-١٢٢.

Porada,E.,1965,op.cit.,p.158. (٩٦)

Potts,D.,op.cit.,Vol:I,(1990),p.91. (٩٧)

الفريدة التي تؤكد عمق الصلات التجارية بين المناطق البعيدة في غرب آسيا، خلال منتصف الألف الثالث ق.م.، فيما عُرف باسم Interculture Style أو السلسلة القديمة، Série ancéenne حيث ظهرت جزيرة تاروت كأحد المراكز الحضارية التي وجدت فيها مثل هذه السلع العالمية^(٩٨).

وفي خضم هذه التطورات الحضارية منذ بداية الألف الثالث ٣٠٠٠ ق.م. تحفنا وثائق نصوص الوركاء العتيقة بظهور مسمى دلمون في رُقْمها الطينية لتضفي بُعداً آخر على أهمية هذه المنطقة في مسيرة تطور الحضارات المحيطة بها.

رابعاً- دلمون في أقدم الكتابات المسمارية حتى عهد السلالات الباكرا :

رغم أن الباحثين عندما بدأوا في دراسة موقع دلمون وتحديدته في جغرافية عالم الشرق الأدنى القديم، أشاروا إلى أن دلمون هي جزيرة البحرين. إلا أن ما أطلعنا عليه المكتشفات الحديثة من الوثائق المادية وما دعمتها به النصوص الكتابية، يعمل على رسم صورة أوضح لتاريخ منطقة الخليج العربي، فيما يسبق العهد الأكادي. فنظراً لغزارة مخلفات تلك الفترة في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية وقتلها، كما أسلفنا، في البحرين، يجعل المنطقة الشرقية هي المرشحة أن تكون «أرض الفردوس» دلمون، في بداية نشوئها وتفتحها^(٩٩).

(٩٨) Kohl, ph., "The First World Economy: External relations and trade in West and Central Asia in The 3rd Mill.B.C.", B.B.V.O.1., Berlin, (1987), pp.23-30.; Potts, D., ibid, p.66.

(٩٩) Potts, D., ibid, p.189.

وحتى عهد قريب كان الرقيم الطيني المكتشف في لاجاش Lagash، والعائد إلى ملكها أور-نانشه Ur-Nanse في حوالي ٢٥٠٠ ق.م.، يصنف على أنه أقدم نص ورد فيه اسم دلمون^(١٠٠).

غير أن الدراسات الحديثة لنصوص الوركاء العتيقة Archaic التي وجدت بين أنقاض المدينة وزقوراتها في المقاطعة المقدسة للإلهة Eannal^(١٠١)، أظهرت وجود علامة دلمون منذ بدء عهد الكتابة وخلال مراحل تطورها التدريجي، أي منذ فجر التاريخ في بلاد المشرق الأدنى.

كان ظهور علامة دلمون في نصوص الوركاء العتيقة المؤرخة في ٣٢٠٠-٣٠٠٠ ق.م. في كل من القوائم اللغوية والاقتصادية والذي دل على وجودها



علامة المشابهة لعلامة الطائر بالسومرية موشين Mušen^(١٠٢).

استمرت علامة دلمون منذ فترة الوركاء الرابعة كما هي حتى فترة أور العتيقة حيث بدأ ظهور التحول في شكل اسم دلمون من صورة الطائر إلى علامة مسمارية محورة تشبه الطائر وتكاد هذه العلامة تفقد صلتها بالصورة الأصلية التي نشأت

(١٠٠) س. كرامر، مرجع سابق، ص ٧١.

(١٠١) ابانا، اين، انا: إلهة سومرية، وهي الإلهة عشتار الأكادية، وهي سومرية أكادية تتخذ هينات وأشكالاً كثيرة ومختلفة، فهي إلهة الحب والحرب، وإلهة كوكب فينوس (الزهرة)؛ ادزارد، د. وآخرون. تر. خياطة، م. قاموس الآله والأساطير، حلب، (د.ت.)، ص ٥٣.

(١٠٢) Englund, R., "Dilmun in the archaic Uruk Corpus" B.B.V.O.2, Berlin, (1983), pp.35-63.;

Nissen, H., "The Occurrence of Dilmun in the Oldest Textes of Mesopotamia", B.T.A., op.cit., p.335.

عنها حسب ما نراه في الكتابات المسمارية في مدينتي أبو صلابيخ وإيبلا ، وفقاً للتطور العام الذي مرت به الكتابة المسمارية من مرحلة الصورة المجردة إلى العلامة الدالة على فكرة^(١٠٣) (إيديوجرام Ideogram).

وقد وجدت علامة دلون هذه في ثلاث قوائم وإحدى عشرة وثيقة إدارية، وفي قائمة بأسماء الوظائف تظهر دلون مع الاسم الوظيفي Enkux-zag وتعني جامع الضريبة. ويشير هـ. نيسن H. Nissen إلى أن دلون تظهر أيضاً في قائمة مع الأشياء التي تفرض عليها الضريبة، أي جامع ضريبة دلون^(١٠٤).

وهناك قوائم تشير إلى نوع من الفؤوس عرفت بفأس دلون، إضافة إلى ارتباطها ضمن نصوص أخرى تشير إلى معدن النحاس الدلوني وأخرى تتحدث عن منسوجات دلون. ويعتبر التعرف عليها ككيان جغرافي قائم بذاته كان من خلال ورود اسمها ضمن قوائم لأسماء مناطق جغرافية مختلفة^(١٠٥). وأحد هذه النصوص أثار اهتمام الباحث السابق، ويتناول استلام ستة من الموظفين لحصتهم من السن الحيواني وملحقاً بألقابهم علامة دلون. كما وجدت علامة تدل على منصب كبير، أمير أو سيد، وفي المطور التالية من النص هنالك إشارة إلى ماترجم على أنه أمير مخزن بضائع دلون^(١٠٦).

هذا ما احتفظت به نصوص بلاد الرافدين القديمة، صورة باهتة قليلاً بسبب قدم الكتابة المسمارية، إلا أنها توضح عمق الصلات مع دلون في نهاية الألف

Nissen,H.,ibid, p.337.

(١٠٣)

Nissen,H.,ibid, p.335.

(١٠٤)

Nissen,H.,ibid, pp.335-339.

(١٠٥)

Nissen,H.,ibid, pp.335-339.

(١٠٦)

الرابع وبداية الألف الثالث ق.م. . هذه الصلات، وإن طغى الجانب الاقتصادي في رسمها، غير أن وجودها قد يكون أعمق من ذلك. إذ تخلل بنية الهيكل الإداري للمجتمعات السومرية الرافدية، فيما عُرف من اسم لدلون ارتبط ظهوره مع أكثر من لقب وظيفي. ولم تقتصر العلاقات التجارية لدلون في تلك الفترة المبكرة مع مدن بلاد الرافدين، إذ مع حلول منتصف الألف الثالث ق.م. ترينا المكتشفات الحديثة المدى الذي بلغته الصلات الاقتصادية لدلون بما تم الكشف عنه من نصوص محفوظات مدينة إيبلا الواقعة إلى الشمال الغربي من سوريا والتي يربو عددها على سبعة عشر ألف رقيم طيني، تتناول الشؤون المختلفة لمملكة إيبلا التي ازدهرت كمركز تجاري يقوم على استيراد البضائع الثمينة بين الشرق والغرب^(١٠٧).

ومما أوردته نصوص محفوظات إيبلا قائمة جغرافية تذكر فيها العديد من المدن الرافدية وغيرها، ويظهر اسم دلمون ضمن هذه القائمة، إضافة إلى أن اسم دلمون اقترن في قوائم أخرى بمواد مختلفة مثل القصدير الدلموني والنحاس الدلموني وقيثارة دلمون وشجرة دلمون والتي يرجح أنها شجرة النخيل^(١٠٨).

وتتمثل أهمية العلاقة التجارية بين دلمون وإيبلا فيما عرف من استخدام مدينة إيبلا لوحدة وزن تسمى « شيقل دلمون ». ويقول ج. بيتيناتو G. Pettinato عن شيقل دلمون: « إن الشيقل الذي يكتب دائما مع العلامة السومرية gin عادة ترادفه إضافة اسم دلمون، والذي يمكن أن يُعرب إما اسماً أو صفة. فإذا عرّب شيقل

(١٠٧) ب. ماتيه، وآخرون، إيبلا (الصخرة البيضاء). تر. ق. طوير، دمشق، (١٩٨٤)، ص ص ٧-١٢-١٣.

(١٠٨) Pettinato, G., "Dilmun Nella Documentazione Epigrafica di Ebla", B.B.V.O.2., Berlin, (1983), pp.75-81.

دلون على أنه اسم فإن وحدة الوزن هذه بالتأكيد ذات أصل دلموني ، أما إذا عرب على أنه صفة فقد يعني (شيقلاً) شهيراً أو نبيلاً Noble Sekel أو وحدة وزن عالمية»^(١٠٩).

وقد قامت بعض الدراسات^(١١٠) بمحاولات لمعرفة التفاصيل القياسية لشيقل دلمون وعلاقتها بنظام الأوزان في كل من بلاد الرافدين وإيبلا وبلاد السند، خاصة على ضوء ما اكتشف من أوزان حجرية في موقع رأس القلعة في البحرين.^(١١١) تتفق في الشكل والوزن مع ما وجد من أوزان سنديّة لحضارة موهنجودارو وحارابا^(١١٢)، وأسفرت هذه الدراسات عن عدد من الفرضيات لا ترقى إلى مستوى الجزم بها.

ولكن تبقى الفرضية الأكبر وهي أن أوزان دلمون السندية أصبحت وحدة قياس عالمية تحمل اسم دلمون المركز الهام للتبادلات التجارية بين الشرق والغرب والذي عمل على نشرها حتى حفظتها محفوظات إيبلا (Archives) المركز التجاري والحضاري في أقصى الغرب، في العديد من نصوص رُقمه الطينية.

وتتحدث رُقم إيبلا في القوائم الإدارية للسجلات الملكية المكتشفة في أنقاض

Pettinato, G., *The Archives of Ebla*, New York, (1981), p.182. (١٠٩)

Raof, M., "Weights on the Dilmun Standard". *Iraq Vol:44*, (١١٠)

London, (1982), pp.137-141.; Powell, M., "The Standard of

Dilmun", *B.B.V.O.2*, Berlin, (1983), p.141.;

Zaccagnini, C., "The Dilmun Standard and its relationship with Indus and Near Eastern Weight System" *Iraq Vol:48*, London, (1986), pp.19-23.

(١١١) انظر ص ٦٥ من هذا الفصل.

(١١٢) ج. بيبي. مرجع سابق، ص ٤٤٦.

محفوظاته المصنفة، عن أوجه الصرف والتفقات، وعن استخدام فضة أو ذهب دلمون في تلك المعاملات الإدارية، ونورد هنا نصين من هذه النصوص:

١) نفقات شهر زلول (الشهر الخامس):

٢ مثقال (أو شيقل) فضة دلمون لمفوض إيلوم-بعل مقدمة لأرباب ابن لاجا.

٥ مثاقيل فضة دلمون - - - ابن سماجان مفوض التاجر، بناء على تعليمات خاصة.

١٠ مثاقيل من فضة دلمون من مفوضي انا- دجن.

٥ مثقال فضة دلمون للتاجر.

٢) كشف حساب مالي (سجلّ الواردات)

٣٠٠ مينا فضة و ٤ و ٤٥ مثقال ذهب دلمون: دفعة من الملك تليم مدينة

ني-ما سلمها كل من أكنا-دامو وإيبو-موت.

المجموع: ٤١٧ مينا و ٣٠ مثقالاً فضة

٢٦ مينا و ٨ مثاقيل ذهب دلمون»^(١١٣).

وتبقى نصوص إيبلا شاهداً على وصول اسم دلمون إلى خارج نطاق الجنوب

الرافدي الذي قدس أرضها المباركة الطاهرة. وآخر نص يمكن أن يذكر في هذا

(١١٣) ب. مانتييه وآخرون، مرجع سابق، ص ص ١٥٥-١٥٦.

السياق هو نص أور- نانشه السابق الذكر، يقول النص:

«أور-نانشه ملك لاجاش ابن جونيديون جورمو شيد بيت نينجرسو، وشيد بيت نانشه، وشيد بيت جاتومدوج، وشيد جناح حرم، وشيد بيت "نينبار"، وجلبت له سفن دلمون خشباً كإتاوة من أقطار أجنبية- - -»^(١١٤).

والنص نفسه ذكر بصيغة أخرى دون مفاخرة بحصول لاجاش على الأخشاب كإتاوة:

«أور-نانشه ملك لاجاش، جلبت له سفن دلمون الأخشاب من المناطق الأجنبية إلى لاجاش»^(١١٥).

وهذا النص يختلف عن النصوص السابقة التي ربطت اسم دلمون بالبضائع المطلوبة إليها وخاصة المعادن، والتي توحى إلى القارئ بأنها هي المنتجة لمختلف هذه المعادن كما في أسماء نحاس دلمون وقصدير دلمون - - - الخ. وقد أوضح هذا النص أن الأخشاب المصدرة إلى لاجاش أتت من مناطق نائية، وأن سفن دلمون هي التي عملت على نقلها إلى جنوب بلاد الرافدين، ويبقى السؤال عن ماهية سفن دلمون هذه، هل هي سفن دلمونية بحق، أم سفن من مدن الجنوب الرافدي عنت بالتجارة مع دلمون وبالتالي اتخذت هذا المسمى؟

وقبل الانتقال إلى الحديث عن الشواهد الأثرية والكتابية المتعلقة بدلمون، والعائدة إلى النصف الثاني من الألف الثالث ق.م. نخلص إلى أن الصلات التجارية والحضارية المبكرة، بين كل من دلمون وبلاد الرافدين، ابتدأت منذ المرحلة

(١١٤) م. كرامر، مرجع سابق، ص ٤٤١.

Potts,D.,op.cit., Vol:I,(1990) p.88.

(١١٥)

الانتقالية للعصور التاريخية، كما أكدت ذلك الشواهد الأثرية المادية العائدة إلى المراحل الأخيرة من ثقافة العبيد، والتي وجدت مخلفاتها على امتداد الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية وجزرها. ثم تصمت الوثائق الأثرية، فترة من الزمن، عن إيضاح معالم التطور الجارية على أرض دلمون. رغم أن الدراسات الحديثة للوثائق الممارية الباكورة (السالفه الذكر) المكتشفة في كل من مدن الوركاء أو أوروك، وإيبلا وأور، أخذت تلقي بأضوائها على هذه المرحلة الباكورة في تاريخ دلمون. فنصوص الوركاء العتيقة التي عثر عليها في معبد الإلهة ايانا المقدس، وأرخت في الفترة ما بين ٣٢٠٠-٣٠٠٠ ق.م.، زمن نشوء الكتابة، أشارت في ثانيا سطورها إلى أقدم ذكر لدلمون. وقد ذكرت هذه الكتابات دلمون مقترنة بأسماء لمواد وبضائع مختلفة، فاس دلمون، حجر دلمون، نحاس دلمون، أخشاب دلمون، شيقل دلمون، وغيرها كثير. ولنا أن نتساءل هل توفرت هذه المواد والمعادن في دلمون؟ أو أنها بحكم موقعها الجغرافي والظروف البيئية والاقتصادية المحيطة بها، جعلتها تصبح الوسيط التجاري الذي أوصل هذه المواد الأولية المطلوبة من ماجان (عمان)، وملوخا (المناطق من أفغانستان حتى الهند) إلى أيدي مستخدميها في المدن الرافدية الجنوبية منها والشمالية، فانتفت عنها أسماء مصادرها الأولية، وبقيت تحمل اسم دلمون؟

ومن المرجح أن هذه الفعاليات الدلمونية بدأت قبل زمن بدء نشوء الكتابة الممارية. وازدادت مع بداية الألف الثالث ق.م. التي شهدت بواكير تفتح الحضارة الدلمونية، نتيجة للاتصالات المباشرة مع بلاد الرافدين، ومن جهة أخرى نتيجة لاتساع آفاق العلاقات العالمية في تلك الفترة، إذ وجدت مخلفات وبقايا عصر السلالات الباكورة في عدد من المواقع الأثرية في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية، وعلى الأخص جزيرة تاروت، التي حوت رمالها العديد من

الشواهد الأثرية العائدة إلى تلك الفترة. كما أكد استمرار ذكر دلمون في النصوص المسمارية قيام هذه الصلات بين هاتين المنطقتين.

خامساً- الآثار والشواهد المادية في دلمون العائدة إلى النصف الثاني من الألف الثالث

ق.م. ٠٠:

آ - الشواهد الأثرية في جزيرة البحرين :

حظيت جزيرة البحرين، وما زالت، بأهمية خاصة بسبب موقعها المتميز. وتشير الدراسات الأثرية لتاريخ أقطار الخليج العربي إلى أنه تَوَضَّعت على رمالها عناصر مختلفة من حضارات مجاورة وبعيدة، منذ السنين الموعلة في القدم وحتى الحديثة. وقد أسفرت التنقيبات الأثرية في المنطقة عن حيازة البحرين لقصب السبق في كثرة المواد الأثرية التي وجدت على أرضها والعائدة إلى الفترة التي نحن بصدددها، وهي النصف الثاني من الألف الثالث ق.م. وما بعدها، مقارنة مع ما وجد من تلك المواد الأثرية في مناطق الخليج الأخرى.

ومن أهم مواقع هذه الفترة في البحرين رأس القلعة، معابد باربار، ومدافن سار، وبعض مدافن الرفاع.

١- المدينة الأولى في موقع رأس القلعة (أو قلعة البحرين):

يقول ج. بيسي عن موقع (رأس القلعة): «إن من أكبر المواقع الأثرية في البحرين [وباستثناء الموقع الهلينيستي في ثاج في المملكة العربية السعودية أضخم موقع في الخليج العربي ككل]، هو تل قلعة البحرين»^(١١٦).*

Bibby,G., "The Origin of Dilmun Civilisation", B.T.A

(١١٦)

London,(1986),p.108.

* (انظر خارطة رقم ٣، ص ٢٩٣).

يقع التل على الساحل الشمالي لجزيرة البحرين تتوجه أبراج القلعة البرتغالية، حيث يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر حوالي ١٠ أمتار ويبلغ حجمه بين ٥٠٠ متر من الشرق إلى الغرب و ٢٥٠ متر من الشمال إلى الجنوب^(١١٧). وقد باشرت البعثة الدانيماركية العمل به بعد إن بدأت حملتها في التنقيب في معبد باربار في بداية الخمسينات من هذا القرن^(١١٨). وكشفت أعمال التنقيب في المواسم الأولى عن قلعة إسلامية ومبانٍ تعود إلى العهد الآشوري والبابلي المتأخر، ومع استمرار أعمال التنقيب في التل أظهر موسم ١٩٥٧م، نتائج ذات أهمية، حيث أمكن التعرف على السور الشمالي للمدينة الثانية أهم الفترات الحضارية للمون. كما أظهر المسبار الذي حفر في الواجهة الشمالية للسور عن أقدم فخار محلي، والذي عرف بالجرار الفخارية الحمراء ذوات العصابات الدائرية الناتئة بنمط سلسلة Chain-ridged ware فوق الطبقة السطحية للأرض مباشرة^(١١٩). ثم تراكمت لدى ج. بيبى حصيلة من الكِـرَ الفخارية التي تم تصنيفها بعناية حسب الطبقات الأرضية التي وجدت فيها كل قطعة مما ساعده على تحديد التسلسل الزمني للثقافات المكتشفة على أرض البحرين والتي تمثلت بشكل واضح فيما أسماه سويات المدن السبع لتل رأس القلعة^(١٢٠). وفي موسمي عام ١٩٦٤ و ١٩٦٥م تمت أهم الاكتشافات بالنسبة لاستكمال التنقيب في السور الشمالي والتعرف على بوابة السور ومايشملها من مبانٍ ودور سكنية تعود إلى المدينة الثانية أو فترة باربار. وقد

Glob,P.V., "The Ancient capital of Bahrain", Kuml, (1954).

(١١٧)

(١١٨) ج. بيبى، مرجع سابق، ص ص ١٤٣-١٤٤.

Bibby,G., "The hundred-Meter Section", Kuml, (1975), p.58.

(١١٩)

(١٢٠) ج. بيبى، مرجع سابق، ص ٢١٥.

وجد تحت أنقاض تلك المدينة بقايا المدينة الأولى^(١٢١). وتم الكشف عن جدران منازلها الممتدة تحت سور المدينة الثانية، وقد غطت أراضيها أعداد كبيرة من كسر أواني الفخار ذوات العصابات الدائرية الناتئة بنمط سلسلة Chain ridged Ware. كما تم التعرف في الطبقات الأخيرة لهذا الموقع على كسر من أوان فخارية تعود إلى حضارات مجاورة،^(١٢٢) سنذكرها فيما بعد. وقد اعترض ج. بيبي مؤخراً على تسمية ما وجد من منشآت على الطبقات البكر من تل قلعة البحرين باسم المدينة الأولى^(١٢٣)، فإطلاق اسم مدينة مبالغ فيه، على حد تعبيره، حيث أنها لا تتعدى أن تكون قرية صغيرة تتناثر فيها بعض المنازل المبنية من الحجر على الشاطئ فيما يشبه قرية أم النار المأجانية^(١٢٤) (في دولة الإمارات العربية المتحدة).

يعتمد الباحثون في تحديد المراحل الزمنية في أي موقع من المواقع الأثرية على ما قد يجدونه من بقايا أثرية تتميز بها حضارة من الحضارات المجاورة. وهنا في طبقات المدينة الأولى أو «القرية الأولى» أسفرت التنقيبات عن عدد من تلك البقايا الهامة. وفي البداية نشير إلى أقدم كسر فخارية وجدت في الطبقات الأخيرة من الموقع السابق، والتي ذكر ج. بيبي أنها تعود إلى ثقافة أم النار^(١٢٥). إلا كلا من

(١٢١) Bibby, G., "Arabian Gulf Archaeology", Kumli, (1967).

(١٢٢) ج. بيبي، مرجع سابق، ص ٤٤١-٤٤٧.

(١٢٣) - - -، مرجع سابق، ص ٤٤٨.

(١٢٤) ازدهرت ثقافة أم النار في شبه الجزيرة العمانية، في الفترة ٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م. وقد اتخذت اسمها من الجزيرة الصغيرة الواقعة على الساحل الظياني.

Potts, D., op.cit., Vol: I, (1990), p.93;

(١٢٥) ج. بيبي، مرجع سابق، ص ٤٥٢.

ك. لارسن و د. بوتس يريان أن أغلب تلك الكسر الفخارية ، تعود إلى كل من مدن بلاد الرافدين وموقع تبة يحيى TepeYahya في إيران، وأنها وجدت في البحرين مثلما وجدت في شبه الجزيرة العمانية نظراً للصلات التي كانت قائمة بين هذه المناطق في أواخر الألف الثالث ق.م. ، وهذا لا يمنع أن تلك الكسرحوت القليل من كسر أواني فخار أم النار الماجاني المتميز بلونه الأحمر والأسود^(١٢٦). ونورد مااتفقت عليه البعثة الدانيماركية بشأن المقاييس التي وضعتها لتحديد الفترات الزمنية التي تشكلت فيها الحضارة الملونية في كل من جزيرة البحرين وما يجاورها من مناطق الخليج العربي. فبعد أن أتمت الحملة دراستها للبقايا الفخارية في موقعين : رأس القلعة ومعابد باربار، تم تصنيف الفخار المصنع محلياً إلى نوعين:

- فخار المدينة الأولى (الأقدم) أواخر الألف الثالث ق.م. Chain-ridged ware : أوانٍ فخارية مزخرفة بالعصابات الدائرية الناتئة بنمط سلسلة وجدت خلال الطبقات البكر من المدينة الأولى وعبر مختلف طبقاتها حتى المستويين الأول والثاني من المدينة الثانية، حيث تغلب فخار تلك المدينة عليه بعد أن بدأ بالاختفاء التدريجي، ويتميز بلونه الأحمر الذي يتخلله خطوط بيضاء^(١٢٧).

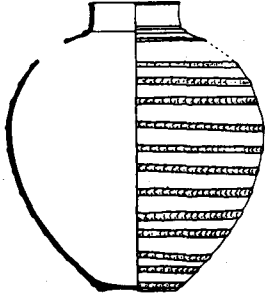
Larsen,C.,op.cit.,(1983),p.222.;

(١٢٦)

Potts,D.,op.cit.,Vol:I,(1990), p.157.

Bibby,G.,op.cit.,(1986), p.111.;

(١٢٧) ج. بيبي، مرجع سابق، ص ٢٠٠.



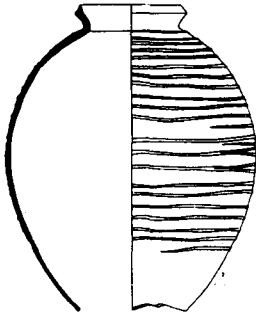
- (شكل ١) آنية فخارية بعصابات دائرية

ناتئة بنمط سلسلة

chain- ridged ware

- فخار المدينة الثانية: بداية الألف الثاني ق. م. Red-ridged ware :

جرار وأوان فخارية حمراء تخللها خطوط بيضاء مزخرفة بعصابات دائرية ناتئة (أو فخار باربار)، لم تظهر إلا في المدينة الثانية، ولم توجد قبلها قط. وقد تم التعرف المبدئي إلى النوعين كليهما في التنقيبات الأولى من معبد باربار، حيث أطلق اسم هذا الموقع على الفخار، وأصبح فخار المدينة الثانية يعرف باسم فخار باربار^(١٢٨). واعتبر العثور على هذا الفخار أو الأختام الدائرية (الدمونية) في أي موقع من المواقع دلالة على وجود صلة تربط بين هذا الموقع والحضارة الدلمونية. فهذان العنصران يشكلان أحد أهم عناصر حضارة دلمون التي ازدهرت على شواطئ الخليج العربي في نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق. م. .



- (شكل ٢) آنية فخارية حمراء بعصابات

دائرية ناتئة (أو فخار باربار)^(١٢٩)

red-ridged ware

Bibby,G.,ibid.p.111.

(١٢٨)

Clouzou,S., "The Early Dilmun Period", Bahrain National Museum

(١٢٩)

Archaeological Collections, (eds).P.Lombard and

M.Kervram,Bahrain,(1989),p.13(chain ridged ware), p.18(red-ridged ware).

أما بالنسبة للبقايا الأثرية التي تم العثور عليها في طبقات المدينة الأولى وأثرها في تحديد الفترة الزمنية التي وجدت فيها مثل تلك اللقى ففي المستوى ٢٦^(١٣٠) من المدينة الأولى عثر على آنية من حجر الكلورشايت العائد إلى النوعية المعروفة بالسلسلة الحديثة Serie recente والمتشرة في جنوب بلاد الرافدين في الفترة ما بين ٢٣٠٠-٢٠٠٠ ق.م.^(١٣١) وهنا يورد د.بوتس رأيه بشأن العثور على مثل هذه الآنية في البحرين وعدم العثور مطلقاً على نظائر لها تبقيها زمنياً، والمعروفة باسم السلسلة القديمة، وهذا يعني «أن التوضع الطبقي للحائط الشمالي لسور القلعة لا يتوقع أنه بدأ قبل الفترة الأكادية»^(١٣٢).

ثم نأتي إلى المستويات المبكرة من التسلسل الطبقي للمدينة الأولى حيث عثر لأول مرة في الخليج على أوزان حجرية تعود إلى حضارة حارابا في شبه القارة الهندية^(١٣٣). إضافة إلى قطعة من جرة تحمل نصاً مسمارياً اعتبر النص المسماري الأول بعد فقدان حجر ديورانند الشهير. ويشير النص إلى مقدار سعة الإناء. وقد احتار الباحثون في تحديد الفترة الزمنية التي يعود إليها، ففي حين يرى ج. بيبى أنه نظراً لوجود هذه القطعة في المستوى ٢٣ من طبقات المدينة الأولى فإن الاحتمال الأول أنها تعود إلى أواخر الألف الثالث ق.م. وبداية الألف الثاني ق.م.^(١٣٤).

في حين يرى ج. لاسيو J. Laessoe^(١٣٥) أنها متأخرة وربما تعود إلى العهد

(١٣٠) انظر الجدول الزمني المقارن لمواقع حضارة دلمون في بعض مناطق الخليج العربي، ص ٢٩٥.

Potts,D.,ibid,(1990),p.158.; (١٣١)

Potts,D.,ibid,158. (١٣٢)

Bibby.G.,op.cit.,(1986),p.111. (١٣٣)

Bibby,G.,op.cit.,(1975),p.58. (١٣٤)

البابلي الجديد، وقد نشر مؤخراً نص من نيبور(نفر) يعود إلى سلالة أور الثالثة يتشابه إلى حد كبير مع هذا النص من البحرين في طريقة كتابته القديمة، وأيضاً في نوعية الفخار المصنعة منه الجرة^(١٣٦).

وقد سمحت كل تلك المعطيات لـ ج. بيبي^(١٣٧) في أن يحدد الحقبة الزمنية التي شهدت انبثاق مثل ذلك التوضع الحضاري في البحرين، والمتمثل أولاً في قيام المدينة الأولى في رأس القلعة والتي أُرخت بدايتها في حوالي ٢٥٠٠، ٢٤٠٠ - ٢١٠٠ ق.م. بداية الحقبة الزمنية للمدينة الثانية، وقيام معبد باربار الثاني وبدء ظهور المستوطنات الدلمونية في فيلكا.

٢- معبد باربار الأول:

تقع قرية باربار في أقصى الشمال الغربي من جزيرة البحرين، وفي جهتها الشمالية المواجهة للبحر يرتفع تل من الرمال تحيط به بساتين القرية. وقد كشف هذا التل عن أهم معالم ميزت المنطقة وهي احتواؤه على المعابد الثلاثة التي اتخذت اسمها من اسم القرية فعرفت بمعابد باربار^(١٣٨).

كان أول من أدرك الأهمية الأثرية لهذا الموقع الكابتن أ. ديوراند^(١٣٩). فقد أشار في تقرير له عن جزيرة البحرين، إلى ما لفت انتباهه في تل باربار،

Laessoe, J., "A Cuneiform Inscription from the Island of Bahrain", (١٣٥)
Kuml. (1957-1958).

Potts, D., *ibid.* (1990), p. 159. (١٣٦)

Bibby, G., *op.cit.*, (1986), p. 115. (١٣٧)

The Temple Complex Barbar Bahrain, A description and (١٣٨)
Guide, Ministry of Information Bahrain.

Durand, C.E., "Extracts from the Report on the Island of Bahrain". Dilmun (١٣٩)
Discovered, ed. M. Rice, (1984), pp. 15-63.

فبالإضافة إلى التل نفسه، هناك قطعة الصخر المثقوبة الجيدة القطع والتي رآها في قمة التل. فكان هذا التقرير بمثابة الحافز الذي جعل البعثة الدانيماركية تولي هذا الموقع أولى اهتماماتها وتبدأ أولى أعمالها في المنطقة بالتنقيب فيه عام ١٩٥٤م.

استمرت أعمال التنقيب في الموقع ثمانية مواسم أي حتى عام ١٩٦١م، اضطلع بأغلبها كل من ب.مورتسن P.Mortensen، وه. أندرسون H.Andersen وأسفرت حفرياتهم عن وجود أكثر من معبد تقع فوق بعضها بعضاً أنشئت خلال فترات زمنية متفاوتة. وبما أن المعبد الأول يقع إنشأؤه في الفترة التي نحن بصدددها، وهي أواخر الألف الثالث ق.م. فهو الأقدم^(١٤٠)، وهو الذي سنتناوله في هذا الفصل.

وقد تم بناء هذا المعبد على مرحلتين آ-ب. فهناك المعبد الأول آ الذي أنشئ على مصطبة مستطيلة طولها حوالي ٢٥-١٣ متراً وعرضها من ١٥-١٧ متراً، محاطة بجدار حجري بقي محتفظاً من علوه الطبيعي من ناحية الشمال مايقارب المترين. وفي المرحلة التالية ب من المعبد الأول اتخذت المصطبة شكل شبه المنحرف، وقد غطت أرضية المصطبة بالحصص، التي أقيم عليها عدد من الغرف. أما في الزاوية الجنوبية الغربية فهناك غرفة صغيرة، وفي منتصف المصطبة توجد غرفة اعتبرها ه. أندرسن^(١٤١) غرفة قدس الأقداس Cella حيث أشار إلى وجود مذبح في إحدى زواياها. وباتجاه النحدر نحو الجنوب الغربي هنالك سلمان يعودان إلى المرحلتين آ-ب من المعبد الأول يؤديان إلى بئر جافة في

Andersen,H., "The Barbar Temple: Stratigraphy, Architecture and Interpretation", B.T.A, London,(1986), pp.165-177. (١٤٠)

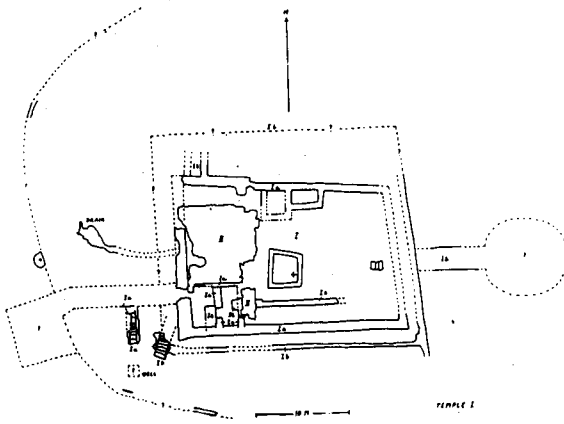
Andersen,H.,ibid,p.168. (١٤١)

نفس المكان الذي ستظهر فيه بئر المعبد الثاني النشطة . وتحيط بهذه المباني جميعاً مصطبة بيضوية الشكل لم يبق منها سوى بعض أجزاء متهدمة كشاهد على صحة وجودها الذي تأكد بشكل واضح في المعبد الثاني^(١٤٢). وقد أوحى هذا الشكل البيضوي للمعبد، علاوة على فرش أرضيته بالرمل الصافي الطاهر، عن الصلة بينه وبين معابد بلاد الرافدين وخاصة معبد تل العبيد السومري ومعبد خفاجة وتل براك في الشمال، غير أن معبد باربار تفرد بخصائص ذاتية ميزته عن تلك المعابد^(١٤٣).

أما بالنسبة للمواد التي استخدمت في بناء جدران المعبد فيرى ب. Doe أن استخدام حجارة صغيرة محلية غير مثذبة مختلفة الأحجام في بناء جدران المعبد الأول في مرحلتيه آ-و ب، دليل على عدم معرفة من قام بعملية البناء تقنية استخدام الحجارة المصقولة، كما سيظهر في المعابد التالية، وكأنه يشير بذلك إلى التغير الذي حدث لسكان الجزيرة مع نهايات الألف الثالث ق. م. زمن بناء المعبد الثاني الذي امتاز بحجارته المربعة الشكل ذات الحجم الكبير المنتظم^(١٤٤).

- (شكل ٣)

- معبد باربار الأول^(١٤٥)



Andersen, H., ibid., p.168.

(١٤٢)

(١٤٣) هـ. الصفدي وآخرون، مرجع سابق، (١٩٨٨)، ص ٩١.

Doe, B., "The Barbar Temple: The Masonry", B.T.A., London,

(١٤٤)

(1986), pp.186-191.

Andersen, H., ibid., p.169.

(١٤٥)

والتحديد الزمني للمعبد الأول قام على ما وُجد من لُقى مختلفة يأتي في مقدمتها الأواني الفخارية الدلمونية، وأواني المدينة الأولى ذوات العصابات الدائرية الناتئة على غط سلة Chain- ridged ware، وأواني المدينة الثانية الفخارية الحمراء ذوات العصابات الدائرية الناتئة (أو فخار باربار) Red-ridged ware. فقد وجد هذا الثنائي في أرضيات المعبد الأول^(١٤٦). ومن اللقى الأخرى الكؤوس الفخارية المخروطية الشكل clay goblets والتي تشبه إلى حد كبير الكؤوس المخروطية التي عثر عليها في بلاد الرافدين في ركامات معابد المدن السومرية التي تعود إلى عهد السلالات الباكرا، حيث اعتمد عليها هـ. موريتسن^(١٤٧) في إرجاع زمن هذا المعبد الأول إلى حوالي ٢٧٠٠ ق.م.، لكنه ما لبث أن نشر في دراسة حديثة بأن المعبد الأول بني في حوالي منتصف العصر الآكادي^(١٤٨) حوالي (٢٣٥٠-٢١٥٠ ق.م) وقد أيده ف. هوجلاند F. Hojlund فيما ذهب إليه مؤخراً بهذا الشأن^(١٤٩).

اhtar الباحثون بشأن المعبودات التي أُلّهِت في معابد باربار وتعددت آراؤهم، ففي حين يرى هـ. أندرسون^(١٥٠) أن معبد باربار أقيم لعبادة الإله انكي الذي يكن الابزو Apsu، المكان العميق الهادئ في محيط المياه العذبة وذلك بسبب

Potts,D., ibid,(1990), p.171.

(١٤٦)

Mortensen,P., "On the Date of the Temple at Barbar in Bahrain", Artibus Asiae 33, pp.299-302.

(١٤٧)

---, "The Barbar Temple: Its Chronology and Foreign relations Reconsidered", B.T.A. London, (1986), pp.178-185.

(١٤٨)

Hojlund,F., "The Formation of the Dilmun State and the Amorite Tribes", P.S.A.S. 19, (1989), p.45.

(١٤٩)

Andersen,H., ibid. p.176.

(١٥٠)

وجود نبع الماء في أحد أركان المعبد. ويستشهد بما أتى في أسطورة انكي وnnخورساج من ارتباط هذين الإلهين بطقوس العبادة في دلمون. ويقترح د. بوتس رأياً آخر بشأن إله المعبد. إذ يرى أنه قد كرس لعبادة إله الشمس اوتو Utu المومري أو شمش الآكادي، ويستدل من خلال اسم القرية التي يقع بها المعبد حالياً باربار، حيث يشير إلى أنه الاسم التقليدي لمعابد الشمس في مدن بلاد الرافدين كان: ي-باربار e-babbar، وأن أصول لفظة باربار غير عربية، ثم يعود إلى أسطورة انكي وnnخورساج، ويصرح أن الإله الذي منح المياه العذبة لدلمون إنما هو إله الشمس اوتو، كما تظهر هذه الأسطورة. ولتأكيد رأيه هذا يشير إلى « إن الفترة التي سبقت ظهور الإسلام كانت عبادة الشمس إحدى العبادات المنتشرة في شرق الجزيرة العربية، وعلى الأخص في منطقة الخليج العربي»^(١٥١).

٣ - مدافن موقعي سار والرفاع :

شكلت تلال المدافن ظاهرة جذبت انتباه كل من زار أرض البحرين عبر مختلف الأزمنة. ورغم أن هذه التلال متشرة بشكل كبير في مختلف أقطار الخليج العربي، وتمتد حتى منتصف شبه الجزيرة العربية^(١٥٢). وأيضاً على الجانب الشرقي من الخليج العربي عبر أراضي جنوب غرب إيران حتى جنوب غرب باكستان^(١٥٣). إلا أن ما استرعى الاهتمام بتلال المقابر في البحرين هو كثرتها، وكبر

Potts,D., "Barbar Miscellanies", B.B.V.O.2 Berlin, (1983), pp.127-140.

(١٥١)

(١٥٢) أظهرت التنقيبات التي يقوم بها قسم الآثار في جامعة الملك سعود، عن وجود هذا النوع من تلال المدافن في قرية الفاو، الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية. انظر رسالة الجامعة، العدد ٣٥٨، يناير، (١٩٨٨) ص ١.

Konishi,M.Akashi(ed.) Excavations in Bahrain and Qatar, 1987-8, Japanes Archaeological Mission to the Arabian Gulf, Rikkyouni, Tokyo, (1989), p.20.

(١٥٣)

حجمها، وامتدادها الشاسع مقابل صغر حجم الجزيرة. وقد ظهر عدد من الدراسات منذ نهاية القرن الماضي وفي بدايات هذا القرن تتناول تلال المدافن في البحرين، وبعضها الآخر على الجهة المقابلة من شبه الجزيرة العربية، قام بها بعض من وقَد المنطقة من الأجانب. ويعتبر أول تقرير هو الذي كتبه الكابتن أ. ديوراند^(١٥٤) عندما قام بحفر مقبرتين من مقابر عالي في البحرين، ودعم دراسته بالرسوم التوضيحية لأشكال التل وتقييماته وكيفية بناء المدافن، كأول دراسة من نوعها لتلال المدافن في دول الخليج العربي. ثم توالى الدراسات من قبل من وفد إلى المنطقة من الأجانب مثل المقيمين السياسيين والرحالة أو الباحثين^(١٥٥)، حتى مجيء البعثة الدانيماركية التي عملت على الكشف عن الكثير من كنوز البحرين الأثرية ونقبت في بعض من تلك التلال. وتعتبر الدراسات الحديثة التي قامت بها البعثة العربية بإدارة م. إبراهيم^(١٥٦) وما قام به ر. مغال R.Mughal في تلال المدافن

Durand,C.E.,ibid,pp.15-63.

(١٥٤)

(١٥٥) قدم م. رايس في كتاب Dilmun Discovered، دلمون المكتشفة، إدارة الآثار والمتاحف-البحرين، ١٩٨٤م، أهم الدراسات الأثرية المتعلقة بتلال المدافن في البحرين، والتي صدرت منذ نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. واستهل الكتاب بتقرير المقيم السياسي البريطاني في البحرين أ. ديوراند ١٨٨٠م، ثم تقرير الرحالة الانجليزي ت. بنت T.Bent وزوجته عام (١٩٠٠)م وتقرير الميجر بريدو Preidaux المكلف من قبل حكومة الهند البريطانية بالكشف عن القبور المنيية في البحرين (١٩٠٨)م، وتقرير أ. ماكي E.Mackay الملتدب من قبل المدرسة البريطانية للآثار للتنقيب في البحرين عام (١٩٢٩)م، وأخيراً دراسة ب. كورنوال المعنونة: 'في تحديد موقع دلمون' (١٩٤٦)م. وقد استعرض الباحثون في دراساتهم السابقة عمليات التنقيب التي قاموا بها في تلال المقابر في عالي، حيث انصبت حفرياتهم على تلال هذه المنطقة بالذات، وقدموا دراسات مفصلة عن طريقة بناء المدافن وغرف الدفن المفردة والمزدوجة على شكل طابقين، وما احتوته المدافن من أوانٍ فخارية وقطع برونزية وعاجية. وصاحب هذه الدراسات العديد من الصور الفوتوغرافية، وأكد هؤلاء الباحثون الذين نقبوا فيما يقرب من مئة مدفن، بأن أغلبها، إن لم يكن جميعها، قد تعرض للنهب والسرقة. لذا لم تكن نتائج دراساتهم بذات أهمية تذكر.

(١٥٦) م. إبراهيم، حفريات البعثة العربية في موقع سار- الجسر (١٩٧٧-١٩٧٩)م، البحرين، (١٩٨٢).

في سار من الدراسات الهامة في هذا المجال لما أعطته من صورة واضحة عن تلال المقابر بأشكالها وأحجامها والرسومات المجسمة، وغرف الدفن ، وتصنيف دقيق لمحتوياتها بشكل أمكن من خلاله محاولة تحديد الفترات الزمنية لهذه المدافن بناء على ما حوته من لقى تميزت بها الحقب الزمنية المختلفة^(١٥٧).

ويقول د. بوتس عن تلال المدافن في البحرين: « إنه يجب على المرء قبل البدء في مناقشة تلال المدافن الشهيرة في البحرين أن يدرك أنها تمثل فترة زمنية تمتد من الألف الثالث ق.م. حتى الفترة الفريثة »^(١٥٨). وكما أشرنا سابقاً من أن اللقى التي وجدت في المدافن هي التي عملت على تحديد الفترات الزمنية المتتمة إليها، وإن التصنيفات التي وضعت لأشكال المقابر لم تكن لتمييز مدافن عن أخرى. وقد قسم م. ابراهيم تلال المدافن إلى خمسة أنواع^(١٥٩)، في حين يرى أغلب الباحثين أنها لا تتعدى الثلاثة^(١٦٠)، وبالنسبة للمدافن التي وجدت فيها مخلفات الألف الثالث ق.م. فإنها من النوع الذي سمي بالمدافن المترابطة والقائمة في الجهة الشرقية من مدافن سار الواقعة في الجزء الغربي من جزيرة البحرين، وبعض من المدافن الفردية في منطقة الرفاع في البحرين^(١٦١).

Mughal,R.,The Dilmun Burial Complex at Sar.The 1980-82 Excavations in Bahrain.Ministry of Informations, Bahrain, (1983). (١٥٧)

Potts,D., ibid, Vol:I,(1990), p.174. (١٥٨)

(١٥٩) م. ابراهيم، مرجع سابق، ص ١٠.

(١٦٠) ج. زاريس، ك. المغنم، "تقرير مبدئي عن حفرة جنوب الظهران، الموسم الأول، ١٤٠٣هـ"، أطلال ٢٨، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص ص ٢٥-٤٨.

Potts,D., ibid., pp.174-178. (١٦١)

والمدافن المترابطة تشبه مثيلاتها من المدافن الأخرى بالنسبة للتوزيع الداخلي، حيث توجد غرفة الدفن المستطيلة التي ينبثق من وسط جدارها الشرقي أو الغربي فجوة alcove تحوي بداخلها المرفقات الجنائزية للميت، وهي تشبه الفجوات المتفرعة من غرف الدفن في التلال الأخرى للمدافن الفردية، حيث تتخذ غرفة الدفن وضع الحرف اللاتيني L وغالباً ماتوجد فجوتان في آن واحد لتشكل حرف T اللاتيني، وتغطي غرفة الدفن في جميع المدافن بصخر الغطاء الذي قد يبلغ في بعض المدافن خمس صخرات، ثم بعدها يظهر الجدار الدائري حول غرفة الدفن، وعادة مايكون هذا الجدار في المدافن المترابطة غير مكتمل الاستدارة، إنما يشبه أنصاف الدوائر، ثم يأتي الصخر والتراب الذي يردم به المدفن والجدار ليتخذ الشكل الخارجي للتل^(١٦٢). غير أنه في المدافن المترابطة تتصل كل المدافن بمدفن ثان وثالث وهكذا حتى تتشابك ببعض من خلال الجدران المحيطة بها مبقية على غرف الدفن في إطار محكم الانغلاق، ثم يأتي فوقها الردم لتتخذ جميعها شكل التل المنبسط^(١٦٣). ويأتي في مقدمة البقايا الأثرية العائدة للألف الثالث ق. م. في هذه المدافن، وأواني حجر الاسيتايت والمعروفة بالسلسلة الحديثة إحدى العلامات المميزة لحضارات هذه الفترة، ويغلب أنها تعود إلى أصول ماجانية بسبب الأشكال التي نقشت عليها^(١٦٤). إضافة إلى العثور على آنية فخارية تعود إلى ثقافة أم النار المعروف بلونيه الأسود على أرضية حمراء. ومع هذه البقايا هنالك أختام دلون المبكرة والتي عثر عليها بأعداد قليلة في بعض المدافن المترابطة^(١٦٥).

(١٦٢) م . ابراهيم، مرجع سابق، ص ص ٦١-٦٢.

(١٦٣) م . ابراهيم، مرجع سابق، ص ص ٦١-٦٢.

Potts,D,ibid, p.176-177.

(١٦٤)

Potts, D., Ibid, p.177.

(١٦٥)

ويبقى مع هذا كله أن نذكر أن أكبر حقل مدافن في جزيرة البحرين هو الواقع في منطقة سار. ويشمل هذا الحقل مجمع المدافن والمدافن المترابطة، التي يعود أغلبها إلى بداية الألف الثاني ق.م.^(١٦٦) ولم يتثنَ منها إلا تلك المدافن القليلة جداً التي عُثر فيها على بقايا من مخلفات حضارات الف الثالث ق.م.^(١٦٧).

ب - الشواهد الأثرية الدلونية في شرق شبه الجزيرة العربية:

لم تمدنا الوثائق المادية المكتشفة في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية، بالقدر الكافي من الأدلة عن طبيعة الحياة التي قامت في أواخر الألف الثالث ق.م. ، والتي رأينا صورة جانبية لها في البحرين. ولكن مع هذا تبقى جزيرة تاروت من المواقع الهامة في شرق شبه الجزيرة، الغنية بمخلفاتها الأثرية عبر مختلف العصور، والتي أمدتنا بالترزير عن بقايا هذه الفترة، ويشير ج. بيبي إلى أنه عثر على رابية التل الواقع في منتصف الجزيرة، على كسر من أواني فخار بعضابات دائرية ناتئة بنمط سلسلة chain-ridged ware (فخار المدينة الأولى)^(١٦٨). كما تم العثور على ختم دلوني مبكر^(١٦٩)، ثم توالى الاكتشافات لتظهر بقايا كسر أواني فخار ثقافة أم النار الماجانية التي لاتسبق زمن المدينة الأولى إلا بفترة ضئيلة^(١٧٠).

(١٦٦) م. إبراهيم، مرجع سابق، ص ١٤.

(١٦٧) بالنسبة للمدلولات الحضارية لمدافن دلون، سوف تتم دراستها في الفصل الثاني ص ١٢٣.

Potts,D.,ibid,p.178.;

(١٦٨) ج. بيبي، مرجع سابق، ص ٤١٣.

(١٦٩) ج. زارينس، أطلال، مرجع سابق، ص ١٠٦، شكل ٥٨٣.

Bibby, G.,op.cit.,1973, p.33.

(١٧٠)

وإذا كانت أواني الفخار دليلاً على الصلات التي ربطت المنطقة بجيرانها، فإننا نجد التأثير الرافدي المتمثل بما وجد من أوانٍ فخارية في جزيرة تاروت تشابه نظائر لها في منطقة وادي ديال إلى Diyala تعود للفترة ما قبل الآكادية. وأيضاً نماذج لفخار مقبرة أور الملكية والمؤرخ للفترة الآكادية وفترة أور الثالثة^(١٧١). هذا إضافة إلى ما أمدتنا به جزيرة تاروت من أوانٍ للحجر الصابوني الكلورشيت ذي اللون الرمادي والرسوم الدائرية المتحدة المركز والمعروفة باسم السلسلة الحديثة المجانية، والذي يضاهي إلى حد كبير ما وجد في موقع مير Maysar في عمان والعائدة إلى نهاية الألف الثالث ق. م.^(١٧٢).

أما في أرض شبه الجزيرة العربية المقابلة لجزيرة تاروت فإن الحفريات التي قامت بها في نهاية السبعينات س. بينجر^(١٧٣) وأعمال إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف في المملكة العربية السعودية في المنطقة الشرقية^(١٧٤) فقد أظهرت وجود فخار ثقافة أم النار بأعداد ضئيلة في مدافن كل من ابيق والظهران. هذا مع الأخذ بعين الاعتبار أن فخار رأس القلعة الدلموني بنوعيه: فخار المدينة الأولى (ذو العصابات الدائرية الناتئة على نمط سلسلة) chain-ridged ware وفخار المدينة الثانية (أي الفخار الأحمر ذي العصابات الدائرية الناتئة، أو فخار باربار) red-ridged ware كان متوفراً على نطاق واسع اعتباراً من جزيرة جنه Jinnah Island وحتى الظهران

Potts, D., ibid, p.181.

(١٧١)

(١٧٢) ج. زارينس، أطلال، مرجع سابق، ص ٢٢.

Potts, D., ibid, p.180. ;

Piesinger, C., op.cit., Vol:2, p.469.

(١٧٣)

(١٧٤) ج. زارينس أطلال، مرجع سابق، ص ٢٧.

جنوباً^(١٧٥). وقد عثر في إحدى مدافن الظهران وفي موقعين آخرين إلى الشمال منها على ثلاثة أختام دلمونية باكرة تعود إلى نهاية الألف الثالث ق.م.^(١٧٦)* (انظر خارطة رقم ٢ ص ٢٨٨).

والملاحظ أن حضارة دلون التي وسعت أفقها في جزيرة البحرين، كانت تشمل شرق الجزيرة العربية وامتدت حتى جزيرة فيلكا في بداية الألف الثاني ق.م. ولتصبح إحدى مراكزها الهامة. ولكن يبقى الدور الذي لعبته منطقة شرق شبه الجزيرة العربية غامضاً حتى الآن، إما بسبب إخفاق عمليات التنقيب عن التوصل إلى الدور الحقيقي الذي قامت به المنطقة، أو أن المنطقة لم تشكل أية أهمية تذكر للطرق التجارية الموصلة بين بلاد الرافدين وماجان وملوخوا خلال تلك الفترة فقد اكتفت السفن التجارية بما وفرته لها موانئ التوقف في كل من جزيرتي البحرين وفيلكا.

سادساً - علاقات دلمون بمدن بلاد الرافدين في ضوء النصوص الكتابية حتى أواخر الألف الثالث ق.م.

أ- نصوص عصر السلالات الباكرة:

واصلت العلاقات الدلمونية الرافدية بالاستمرار والازدياد من خلال ماتطلعنا عليه الشواهد الكتابية العائدة إلى نهايات الألف الثالث ق.م.، المكتشفة في أرجاء مدن بلاد الرافدين الجنوبية، وسنستعرض هذه النصوص في الأسطر

Golding, M. "Evidence For Pre-Seleucid Occupation of Eastern Arabia", P.S.A.S.4, (1974), p.29. (١٧٥)

Golding, M., *ibid*, p.29.; Piesinger, C., *op.cit.*, Vol:3, p.1157.2 (١٧٦)

* أنظر خارطة رقم ٢ ص ٢٩٢

التالية. كما بدأت الأدلة المادية العائدة إلى هذه الفترة نفسها بالتراكم في دلون، وتشهد بذلك المكتشفات الأثرية في جزيرة البحرين، بدءاً من قيام المنشآت والمباني حتى ظهور الصناعات الفخارية المحلية، ثم الانحسار التدريجي لمثل تلك الأدلة من مناطق شرق الجزيرة العربية، كما أسلفنا.

تتمر العلاقات التجارية التي تحتفظ مدينة لاجاش بالجانب الأكبر منها امتداداً لما كان قد بدأه أورنانشه أنسي ensi لاجاش من علاقة اقتصادية مع دلون منذ فترة مبكرة، ونورد هذه النصوص وفق الترتيب الزمني لها.

١- عهد لوجال اندا ٢٣٥٢-٢٣٥٨ ق.م. Lugaland :

في السنة الأولى من حكم لوجال اندا جلب التاجر أور-انكي Ur-Enki ٢٣٤ مينا، (أي حوالي ١٠٠ كغ) من النحاس من دلون لديمتور Dimtur زوجة الانسي انيتارزي Ensi-Enentarrzi حاكم المدينة، ثم أحضر التاجر نفسه كمية أخرى من النحاس لزوجته الانسي أيضاً تقدر بحوالي ٢١٤ مينا، أي ما يقرب من ٨٥ كغ. ونص آخر للتاجر أور انكي يذكر إحضاره ١٤ مينا، أي حوالي ٦-٧ كغ من فلزات النحاس للحاكم لوجال اندا^(١٧٧).

وفي السنة الخامسة من حكم لوجال اندا يتلقى التاجر أور-انكي أيضاً منتجات مختلفة من منتجات الألبان والحبوب والأرز، لمبادلتها بمواد أخرى في دلون، سلّمت إليه من قبل مفتش القصر شوبور Šubur. وبعدها بسنة استلم بران أمتارا Baranamtarra ٥ مينا من مواد مصنعة من الصوف، و٦ مينا من الفضة من

Hruska, B. "Dilmun in Der Vorsagonischen Wirtschaftstexten Aus Suruppak (١٧٧) und Lagas", B.B.V.O.2, Berlin, (1983).pp.83-85.;
Alster, B.,op.cit.,p.49.;
Potts, D.,ibid,p.182.

قبل القصر لتصديرها إلى دلمون^(١٧٨). وفي إطار الهدايا النذرية التي تقدم إلى الآلهة لتكريس عودة السفن سالمة، قدمت نماذج من سفن نحاسية تعرف بسفن دلمون إلى الإلهة نانسه Nanse في لاجاش^(١٧٩).

٢- عهد اوروكاجينا ٢٣٥١-٢٣٤٢ ق.م. UruKagina

تواصل النصوص بلورة الصورة الاقتصادية لدلمون، ففي السنة الأولى والثالثة من حكم اوروكاجينا، تجل النصوص استلام منسوجات قطنية جيدة من "كتان دلمون" (gada-Dilmun-u-la) لتزين تماثيل العبادة في المناسبات الاحتفالية على شرف الآلهة بابا Bāba، قدمته هذه المنسوجات من قبل زوجة الملك اوروكاجينا المسماة ساج ساج SagSag، وفي السنة الثانية لنفس الحاكم تشير النصوص إلى تقديم نماذج لسفن دلمون كهبات نُدْرية للإلهة نانسه^(١٨٠).

ثم تتعرض الوثائق الكتابية لهذه الفترة للحديث عن بصل أو ثوم دلمون Sum-Dilmun الذي يزرع في لاجاش، ويتمتع بشهرة واسعة، واعتبر من أجود أنواع البصل، وتمت زراعته في مزارع الأسرة الحاكمة التي عنت بحقوقه وقسمتها إلى مساكن منفصلة. وهناك نص يذكر عمالاً أو بحارة عرفوا "بعمال دلمون" كانوا مسؤولين عن إبحار وشحن وتفريغ المراكب المتجهة والآتية من دلمون. ويورد النص تلقي هؤلاء البحارة لأنصبه وجعلات كانت تقدم لهم على شكل مواد غذائية. وهنا يرى ب. هروسكا B.Hruska أن هؤلاء العمال لا يمكن أن يكونوا

Alster, B., ibid, p.49.

(١٧٨)

Potts, D., ibid, p.182.

(١٧٩)

Hruska, B., ibid, pp.83-84.; Potts, D., ibid, pp.184-186.

(١٨٠)

عناصر عمالية من دلمون، ساهمت في هذه الفعاليات، ولكن الاحتمال الأكبر أنهم من بلاد الرافدين^(١٨١).

ب- نصوص العصر الآكادي: حوالي ٢٣٥٠-٢١٥٠ ق.م.

سيطر العنصر السامي على مقاليد الحكم في مدن جنوب بلاد الرافدين، بعد أن استولى سرجون على عرش مدينة كيش Kish، وبدأ في توسيع مملكته ليؤسس أول امبرطورية في الشرق الأدنى. اتخذ سرجون عاصمة له قرب كيش، هي أكاد التي عرفت بها دولته، وبدأ يتطلع إلى الاستيلاء على المناطق المحيطة به، فأخذ نشاطه العسكري بالازدياد والسيطرة على المدن الواحدة تلو الأخرى، ثم التفت إلى الطرق التجارية ومراكزها لتأمين وصول المواد الأولية لعاصمته، فاتجه إلى الشمال حتى ماري وإيبلا، ووصلت جيوشه إلى آسيا الصغرى وفي الجنوب إلى دلمون وماجان^(١٨٢).

وتشير الكتابات المتعلقة بدلمون والتي وجد أغلبها على تماثيل نذرية للملوك الأسرة الآكادية في نفر-نيبور Nippur^(١٨٣)، إلى العلاقات التي اتمت بالروح العدائية التي قامت بين دلمون وآكاد، ففي أسطورة سرجون يذكر سيطرته على

Hruska, B., ibid, pp.84-85.

(١٨١)

(١٨٢) ع. صالح، مرجع سابق، ص ٤٨١.

(١٨٣) نفر-نيبور Nippur: نخل مركزاً هاماً، ومكانة خاصة في تاريخ بلاد الرافدين حتى منتصف الألف الثاني ق.م.، فقد كانت مقر الإله انليل رئيس مجمع الآلهة السومري، ومعبد ايكور المشهور في نفر، ساهم في تطوير الحياة الدينية في بلاد الرافدين. وقدمت المدينة الكثير من أعمال الأدب السومري التي أظهرتها أعمال التنقيب، إضافة إلى الوثائق التاريخية والإدارية والقانونية للمدينة. انظر: ل. أوبنهايم، بلاد ما بين النهرين، ترك. عبدالرزاق، بغداد، (١٩٨٦)م، ص ٥٠٠.

دلمون التي اعتبرها إحدى المفاخر التي يجب أن يتمسك بها من يتولى حكم
آكاد^(١٨٤).

وهذا نص آخر توحى قراءته باستمرار أسلوب القوة الذي اتبعه سرجون
في السيطرة على المراكز والطرق التجارية في البلاد الأخرى. ولكن يرى بعض
الباحثين أنها إشارة أو دليل على أن طرق المواصلات في المناطق المصدرة للخامات
من البحر الأدنى، والتي أصبحت سالكة وآمنة^(١٨٥).

يقول النص^(١٨٦):

«... وكان سرجون، ملك كيش، منصوراً في أربع وثلاثين حملة (استطاع
خلالها) أن يجرد (كل) المدن من حصونها، ووصل إلى ساحل البحر وجعل في
ميناء آكاد Akkad سفناً ترسو، سفناً من ملوخوا، سفناً من ماجان، سفناً من
دلمون (أي جعلها ترسو في ميناء آكاد). سرجون، الملك، خرّ ساجداً (حرفياً: ألقى
بجسمه على الأرض ممدداً) متعبداً أمام الإله داجان Dagan في توتول Tutul
(الذي) أعطاه المنطقة العليا (أي) ماري، أيار موتي، (و) إيبلا حتى غابة الأرز وجبل
الفضة...».

توصف الفترة الأكادية بقلّة الوثائق الكتابية الدالة على علاقات اقتصادية
مع دلمون، ومن هذه الوثائق القليلة هنالك أربعة نصوص مسمارية من مدينة أوما
Umma، أحدها يسجّل شحنة من الدقيق نُقلت في مراكب إلى دلمون، والآخر

Potts,D.,ibid,p.183.;

(١٨٤)س. س. البدر، مرجع سابق، ص ٨١.

Potts,D.,ibid,p.183.

(١٨٥)

Englund,R., "Exotic Fruits" ,B.B.V.O.2 Berlin, (1983),p.87.

(١٨٦)

النص من ترجمة س. س. البدر، مرجع سابق، ص ٥١.

من حكم الملك الخامس شاركالي شاري SarkaliSarri يورد توزيع حصص من الخبز والبيرة لاثنتين من الدلمونيين، ونصان أيضاً من مدينة أوما، ذكر فيهما رجال من دلمون، ونص من مدينة جرسو Gersu يسجل أسماء عمال يراد ترحيلهم إلى دلمون.^(١٨٧) وفي نيبور عثر على ثلاثة نصوص تشير إلى دلمون تتعلق بمحصول البصل. النص الأول من حكم شاركالي شاري يذكر تقديم أكياس من البصل لعمال يقومون بإصلاح سفن دلمون، والآخر يشير إلى بصل أرسل إلى دلمون، والثالث يذكر ٢٤٠ ربطة أو صرة من البصل منحت لرجل سفينة دلمون. وإلى جانب هذه النصوص القليلة العدد، يمكننا الإشارة إلى بعض النصوص الأكادية التي تحدثت عن نوع معين من النحاس اشتهرت به دلمون، ويعرف بنحاس دلمون، حتى وإن لم تكن هي مصدره.^(١٨٨)

ج - نصوص عصر الإحياء السومري:

١- سلاله مدينة لاجاش : Lagash

اشتهر في هذه الفترة الملك جوديا Gudial حاكم مدينة لاجاش الذي قويت شوكلته رغم سيطرة الجوتيين^(١٨٩) على مدن الجنوب الرافدي، وقام بالعديد من

England, R.,ibid,p.88.;

(١٨٧)

Potts, D.,ibid,p.184.

Potts, D.,ibid,p.184.

(١٨٨)

(١٨٩) الجوتيين Gutian شعوب كانت مواطنهم جبال زاغروس. أدى غزوهم لجنوب بلاد الرافدين إلى القضاء على امبرطورية سرجون الاكادي. لم يعرف عن هذه الشعوب مظاهر ثقافية خاصة بها، بل أخذوا ينهلون من معين الثقافة السومرية الاكادية بعد الاستيلاء على اكاد التي حكموها ما يقرب من مئة عام، حتى استطاعت لاجاش استعادة السيطرة السومرية على مدن جنوب بلاد الرافدين بما عرف بعصر الإحياء السومري. انظر: ل. اوبنهايم، بلاد ما بين النهرين، مرجع سابق، ص ٥٠٣.

الإصلاحات وازدهرت التجارة في عهده حتى بلغت سوريا شمالاً وماجان وملوخا مروراً بـدلمون جنوباً^(١٩٠)، ويشير نص نُقش على تمثال لهذا الملك بأن دلمون، مع ماجان وملوخا، كانت تمون لاجاش بالأخشاب. وهناك نص آخر غير مباشر يذكر اقتناء جوديا لأخشاب الأبنوس والنحاس من دلمون.

النص الأول :

« نتيجة لقوة نانشه وننجرسو Ningirsu ، فإن حاملي أخشاب ماجان وملوخا وجوبي وأرض دلمون، نقلوا لجوديا، الذي أعطاه ننجرسو صولجان الحكم، أخشاباً من جميع الأنواع لمدينة لاجاش. ومن جبال ماجان أحضر له الديوريت Diorite الذي نحت له منه تماثيل^(١٩١) .

النص الآخر يقول :

« هو جوديا عين من قبل الإله نتراكـا Ninzaga نيتراك= (آنراك دلمون) الذي نقل النحاس بوفرة تعادل شحنات الحبوب لباني المعبد جوديا، وهو قد عين من قبل الإلهة ننسيكيلا Ninsikila = (Meskilak إلهة دلمون) الذي نقل الأبنوس والعاج والأخشاب عبر البحار إلى انسي مُشيد المعبد... eninnu^(١٩٢) .

٢- سلالة أور الثالثة ٢٠٥٠-١٩٥٠ ق. م. :

إن فترة حكم سلالة أور الثالثة تسبق الفترة الهامة في علاقة دلمون ببلاد الرافدين وهي الفترة التي عاد فيها العنصر السامي لتولي الحكم في مدن جنوب

(١٩٠) ع. صالح، مرجع سابق، ص ٤٩١.

Englund,R., ibid,p.88.

(١٩١)

Englund,R., ibid,p.89.

(١٩٢)

بلاد الرافدين المتمثلة بحكام سلالتي اسين ولارسا. وقد اتسمت هذه الفترة بقلّة ذكر دلمون في نصوصها، حيث تزايد ذكر ماجان، التي بدت أكثر أهمية في أعين الرافدين، ودلمون ميناء التوقف Port of Call، أصبح أقلّ شأنًا. فالرحلات التجارية كانت مباشرة إلى ماجان لجلب النحاس والمواد الأخرى الثمينة من ملوخوا التي أصبحت بضائعها تفرغ في ماجان (موانئ دولة الإمارات وعمان حالياً). وبالرغم من كل ما سبق فإن هنالك حصيلة من الوثائق الاقتصادية القليلة والهامة التي أشارت إلى وجود الصلات بين دلمون وبلاد الرافدين في فترات زمنية متباعدة^(١٩٣).

ومن أوائل هذه النصوص رقيم طيني من مدينة جرسو يذكر مخصصات من الدقيق لمراسل اسمه أور- دموزي Ur-Dumuzi وموظف حكومي (مريض) قادم من دلمون^(١٩٤).

وفي وثيقتين من مدينة درهام Derhem لإحدى سني حكم امر-سين Amar-Sin تسجل الوثيقتان إعطاء خراف إلى آموريين كهنة أتوا من دلمون^(١٩٥). وفي ترجمة أخرى للنص « منح خروفين معلوفين إلى الرجل الأموري ماش ماش Mas. Mas وهو كاهن من دلمون »^(١٩٦).

وتذكر قوائم من مدينة درهام أيضاً تقدمات وأصاحي من الحيوانات لآلهة مختلفة وشعائر عبادات، ومن هذه القوائم يذكر رجل دلمون Lu-Dilmun^(١٩٧).

Weisgerber,G., "Dilmun-a trading entreport:evidence from historical and archaeological Sources", B.T.A., London,(1986),p.138. (١٩٣)

Potts, D.,ibid,p.185. (١٩٤)

Buccellati,G.,The Amorites of Ur III Period, Naples, (1966), pp.244-250. (١٩٥)

Butz,K., "Dilmun in Wirtschaftstexten Der Ur III-Zeit", B.B.V.O.2., (١٩٦)

Berlin,(1983),p.91.

Potts,D.,ibid,p.185. (١٩٧)

ويرد نصّ من مدينة أوما يتحدث عن استيراد مادة شيم-دلمون Šim-Dilmon^{١٩٨} أو عطر دلمون، يرى ك. بوتز أنها مستخرجة من زهرة الخزامى lavender، التي تنتشر في أراضي شبه الجزيرة العربية، ولا تُعرف في بلاد الرافدين.

وتذكر قوائم تختصّ باستيراد هذه السلعة الكمية المجلوبة من هذه المادة العطرية. وتشير قوائم أخرى إلى عمليات استيراد منظمة من هذه المادة من دلمون^(١٩٨).

وهناك نص من مدينة أور يعود إلى السنة الأولى من حكم الملك أبي-سين Ibbi-Sin عام ٢٠٢٨ ق.م.، يورد تصدير ١٠ Gun أي حوالي ٣٠٠ كغ من الصوف العادي أو الرديء حُمِل على ظهر سفينة متجهة إلى دلمون^(١٩٩).

وأخيراً تشير وثيقة من مدينة أور إلى اسم شخصية دوب-نا-دلمون-لا dub-na₄-Dilmun-l-a مقترنة بكمية قليلة من الذهب وردت على رقيم من «حجر دلمون»^(٢٠٠)، ويبقى معنى حجر دلمون محيراً، رغم أن هنالك علاقة لدلمون بنوع معيّن من الحجارة يُعرف بحجر ماهاشي Mahaši- Stone؟^(٢٠١)

تعود النصوص السابقة إلى منتصف الألف الثالث ق.م. حتى نهايته. وهي الفترة التي ابتدأ فيها ظهور الفعاليات والنشاطات الدلمونية في جزيرة البحرين. فقد كشفت الشواهد الأثرية عن حياة حضرية مستقرة تُمثلت في نشوء

Butz,K.,ibid,p.91.

(١٩٨)

Leemans, W, Foreign in Old Babylonian Period,Leide (1960), p.22

(١٩٩)

Butz,K.,ibid,p.91.

(٢٠٠)

Potts,D.,ibid,p.186.

(٢٠١)

المدينة الأولى في موقع رأس القلعة، وظهور أوائل معابد باربار، وبدء انتشار المدافن الدلونية. وقد صاحب هذا التطور إنتاج أدوات فخارية محلية، عرفت بالأواني ذوات العصابات الدائرية الناتئة بنمط سلسلة chain-ridged ware. كما بدأ ظهور الختم الدلوني في مراحلها الباكرة، مما يدل على مستوى مادي وفكري رفيع. ودعم ظهوره بهذه الصورة الراقية ما ذكرنا من شواهد كتابية تعود إلى عهود كل من لوجال اندا، وأورو كاجينا، ونصوص العصر الأكادي، وإن اتمت بعض نصوص هذا العهد بالروح العدائية.

إلا أن العلاقات التجارية لم تتوقف بين مدن بلاد الرافدين ودلمون، إذ استمرت الوثائق التجارية تصف سفن دلمون وهي تنقل الأخشاب إلى لاجاش في عصر الإحياء السومري. كما رسمت صورة واضحة عن العلاقات التجارية، بما أشارت إليه من رحلات بحرية يقوم بها تجار جلب النحاس إلى شخصيات هامة في مدينة لاجاش، وتسليم هؤلاء التجار منتجات زراعية لمقايضتها بمواد أخرى من دلمون. بالإضافة إلى ما ذكرته النصوص من وجود عمال بحارة يعملون على شحن البضائع وتفريغ المراكب التي تعمل على خطوط دلمون البحرية. بل إن نصوص سلالة أور الثالثة أخذت تشير إلى بدء ظهور الآموريين في العلاقات المرتبطة بدلمون.

كل هذه المعطيات وغيرها كانت البداية الحقيقية للازدهار الكبير والتوسع الإقليمي الذي سيشهده الحضارة الدلونية مع بداية الألف الثاني ق.م..